أحمد رضا حوحو في الصحافة التونسية

القبس

شهرية سياسية ثقافية رقمية العدد:70 ديسمبر 2024

الشهيد أحمد رضا حوحو

رائد الصحافة الجزائرية

الساخرة

د/ سكينة العابد

الشهيد أحمد رضا حوحو

بين السياسة و الصحافة و الأدب

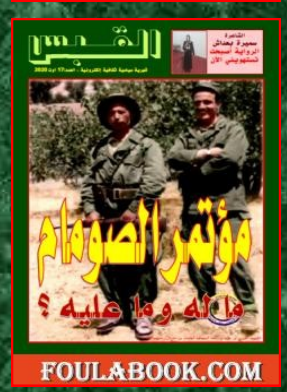

القبس
08 مارس 2019
بومدين ... الأسطورة
وجهان ... لعملة واحدة
هل إستقال الشاذلي أم أقيل
رمضان: شهر البطولات و الإنتصارات
حزب جبهة التحرير الوطني
إلى المؤامرات العلمية و التصحيحيات
كورونا ... أيها القاتل اللعين
مؤتمر الصومام
ما له وما عليه ؟
5 أكتوبر 1988
الإنتفاضة التي غيرت مجرى التاريخ
الأديبة: جنات زراد
الكتابة النسائية ليست بدعة
ضحية أم متهم ؟
الأدب الجزائري يتارجح بين مبدع و دخيل
الإسلاميون ... و الإمتحان الصعب
شهر رمضان
الذي أنزل فيه القرآن
الشاعرة: جميلة بن حمودة
لدمو ... الشعر ديوان العرب
ظاهرة الشيخ
عبد الله جاب الله
مسعود زقار
أو ... الثير المنسي
الجزائر - فرنسا
هل هي سحابة صيف ؟
الحكومة الجديدة
خطوات ... الى الوراء
أربع (4) مهمات
تنتظر الرئيس الجديد
الأمير الفارس و الشاعر
4 سنوات
40 عددا
مجازر 8 ماي 1945
للحراك المبارك
FOULABOOK.COM

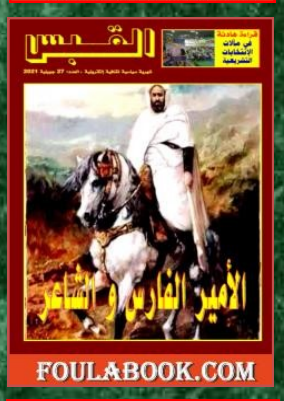

الشهيد أحمد رضا حوحو

بين السياسة و الصحافة و الأدب

بقلم: محمد رباعة

نحن **إزاء شخصية عربية إسلامية جزائرية متعددة الجوانب و المواهب ، فلم يكن الشهيد أحمد رضا حوحو رائد الرواية الجزائرية بتجربته الفذة (غادة أم القرى) التي فضح فيها بطريقة غير مباشرة تعنت الإنسان المسلم و تعصبه تجاه المرأة زوجة أو أختا أوبنتا فقط ، و لكنه حاز الريادة في الصحافة كتابة و إدارة و في القصص و المسرح و الكتابة الرمزية و الساخرة.، و فن البورتريهات.**

ينحدر الأديب الشهيد أحمد رضا حو من منطقة الجنوب و بالضبط من بلدة سيدي عقبة مثوى الصحابي الجليل عقبة بن نافع ، و هي تابعة إدرايا لولاية بسكرة، و منطقة الجنوب الجزائري كما هي معطاة في البترول و الغاز و أجود أنوا ع التمور، فقد تحولت في العشرية الأخيرة الى سلة الخضر و الفواكه المبكرة،و ربما تتحول في المستقبل الى جنة في الأرض، رضا حوحو هو أيضا من جيل بداية القرن العشرين ، من مواليد 15 ديسمبر 1909 و هذه السنوات الأولى من القرن العشرين شهدت ولادة كبار العلماء و المفكرين المسلمين ، ك: مالك بن نبي حسن البنا و سيد قطب ، حفظ القرآن الكريم على يد شيوخ القرية، ثم تابع دراسته الإبتدائية في مسقط رأسه، و بعد نجاحه في شهادة التعليم الإبتدائي قرر والده نقله الى مدينة سكيكدة لمتابعة دراسته المتوسطة و الثانوية، حيث درس بثانوية (لوسيان) بن مهيدي حاليا، لكن لأسباب عنصرية و بالنظر الى نبوغه المبكر منعته الإدارة الفرنسية من مواصلة دراسته، فاختار التوجه مباشرة الى العمل فكان حظه مع مصلحة التلغراف بإدارة البريد بمسقط رأسه، و هنا بدأ يتعلم أبجديات الحياة و يلاحظ الفارق الكبير في كل النواحي الإجتماعية و الثقافية و المادية ، بين ابناء الريف و أبناء المدن من جهة و بين أبناء الوطن ، و المحتلين من جهة أخرى، و من خلال عمله في مصلحة البريد و الذي دام حوالي عشر (10) سنوات استطاع أن يختزن في ذاكرته الكثير من المواقف و الحالات الإجتماعية الخارقة للعادة، و التي سيستثمرها بشكل جيد عندما تنضج موهبته في الكتابة الأدبية، كما ساعدته الوظيفة القارة في ذلك الوقت على المحافظة على توازنه المادي و نمط حياته بإعتباره سليل أسرة ميسورة الحال،و في سنة 1934 أكمل نصف دينه و دخل القفص الذهبي ، و هنا تنتهي المرحلة الأولى من حياة الأديب الشهيد و تبدأ مرحلة أخرى أكثرا ثراء و تنوعا.

الى الحجـــاز

في سنة 1935 تعرضت عائلته الكبيرة الى ضغوطات قاسية من الإدارة الإستعمارية الفرنسية، فقرر والده و أعمامه (40 فردا) الرحيل الى الحجاز على متن باخرة ، للإستقرار بجوار النبي الكريم ﷺ في المدينة المنورة ، فانتهز فرصة تواجده هناك و سجل للدراسة في كلية الشريعة التي تخرج منها سنة 1938 بشهادة

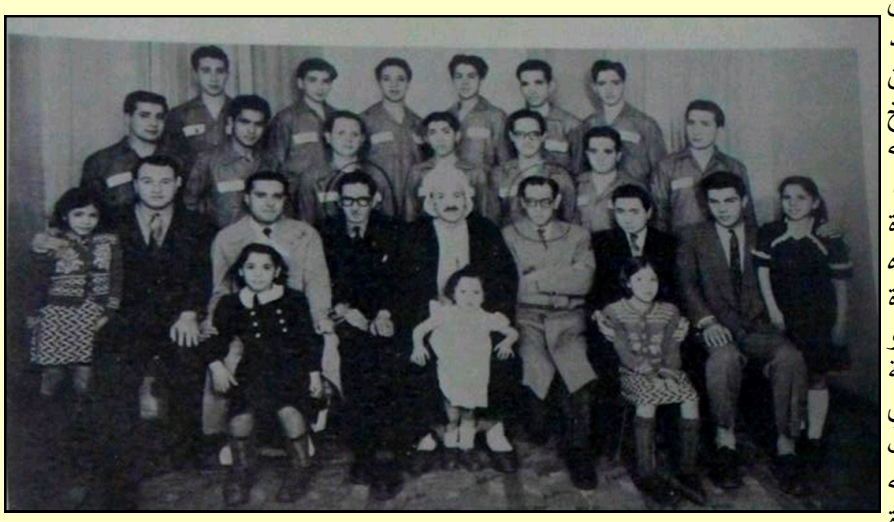

الدراسات العليا، و أثناء الدراسة الجامعية و الإستقرار الإجتماعي و المادي هناك في أرض الحرمين تفتقت موهبته في الكتابة السياسية و الإجتماعية فنشر سنة 1937 و هو لا يزال طالبا جامعيا مقالا في مجلة (الرابطة العربية) بعنوان (الطرقية في خدمة الإستعمار) وبعد تخرجه عين أستاذا في نفس الكلية التي درس فيها،مع وظيفته كأستاذ جامعي في كلية الشريعة اختارته مجلة المنهل الشهرية العريقة التي لا تزال تصدر حتى يومنا هذا ، سكريتيرا للتحرير، حيث نشر في هذه المجلة الكثير من المقالات الأدبية و الإجتماعية و القصص و الخواطر، و خصصت له المجلة صفحات يترجم فيه خواطر و قصص مفيدة و هادفة من الأدب الفرنسي، لأن الشهيد كان يتقن اللغة الفرنسية قراءة و كتابة و نطقا و يتحكم فيها بشكل جيد، حيث استمر في عمله بالمجلة لمدة سنتين ثم استقال بمحض إرادته ، لينتقل سنة 1940 بعد وفاة والده للعمل بمكة المكرمة بمصلحة البريد (القسم الدولي للهاتف و البرقيات) واستمر في عمله الى غاية سنة 1946 و بعد وفاة والدته قرر العودة الى بلده الجزائر للمشاركة في الحراك السياسي و الفكري و الإجتماعي السلمي.

العـــــودة

مباشرة بعد عودته الى أرض الوطن وجد الشهيد بلاده تغلي سياسيا و فكريا و ثقافيا، فمن جهة كان حزب الشعب قد فتح العديد من المدارس و الإكماليات والنوادي عبر الوطن، و أصدر جريدته التي تعبر عن وجهة نظره، و هناك نشاطات سياسية و ثقافية مكثفة للنخبة الجزائرية المستقلين أو التيار الثالث ، و في مقدمة الحراك الثقافي و السياسي كانت تقف جمعية العلماء المسلمين الجزائريين ، شامخة بمدارسها و مساجدها ونواديها و صحفها ومجلاتها، و مطبعتها الرسمية،فاختار رضا حوحو الإنضمام الى جمعية العلماء التي وجدها قريبة من أفكاره و آرائه حيث تم تعيينه أستاذا بمدرسة التربية و التعليم التي أشرف على إنجازها الشيخ عبد الحميد بن باديس نفسه ، و كان يتفقد المشروع من وضع حجر الأساس حتى نهاية البناية، و من مدرسة التربية والتعليم تم تحويله الى مدرسة ببلدة (شاطو دان) شلغوم العيد حاليا بولاية ميلة،ثم ما لبث أن استدعي لشغل منصب الكاتب العام لمعهد إبن باديس، و في 25 سبتمبر 1946 نشر أول مقال له في جريدة البصائر بعد عودتها للصدور بعد توقف إضطراري، تحت عنوان خواطر حائر ، و في الأسبوع الثاني من شهر ماي سنة 1949 أنتخب عضوا في المجلس الإداري لجمعية العلماء المسلمين، و شارك بهذه الصفة في مؤتمر باريس للسلام .

المجتمع المدني و الصحافة و المسرح

لم يقتنع رضا حوحو بالعمل الإداري او التدريس ، و قرر أن يضيف الى رصيده النضال السياسي و الثقافي و الإجتاماعي ، فاختار ميدان الجمعيات الثقافية حيث أسس رفقة العديد من الأصدقاء جمعية (المزهر القسنطيني) و من خلالها أنتج و عرض الكثير من المسرحيات التي كتبها باللغة العربية البسيطة أو حتى باللهجة العامية منها على سبيل المثال مسرحيات: (ملكة غرناطة ، بائعة الورود ، البخيل) كما أسس رفقة زميله عبد الرحمن شيبان جمعية ثقافية بعنوان (إخوان الصفا) ، و لم يكتفي الشهيد بالنشاط المسرحي الذي برع فيه و هو يقترب من سن الأربعين (40) فاتجه الى الإحتراف في مجال الصحافة من خلال جريدة الشعلة الأسبوعية التي أسسها رفقة مجموعة من أصدقائه المثقفين الشباب(أحمد حماني، الصادق حماني ، أحمد بوشمال)، و صدر أول عدد منها في 15 ديسمبر 1949، فكانت مقربة جدا من جمعية العلماء ، و تتبنى نفس مواقفها و أدبياتها ، لكنها أكثر استقلالية و تحررا من صحافة الجمعية، و كانت تعبر في ذلك الوقت على مواقف (شبيبة جمعية العلماء) و بإعتبارها صحيفة خاصة غير مرتبطة عضويا بجمعية أو حزب ، فهي في الحقيقة تعبر عن مواقف و أفكار و آراء مؤسسيها فقط و هم يعدون على أصابع اليد الواحدة ، و ليس كصحيفة الحزب أو الجمعية التي تتجه الى جمهور غفير و كبير ،ولذلك لا تشدد الإدارة الفرنسية الإستعمارية الرقابة كثيرا على صحف الخواص و تعتبرها مجرد نشاط تجاري، و في المقابل تضع الصحف الحزبية و الجمعوية تحت الأضواء الكاشفة، و لذلك اختار الشيخ العلامة عبد الحميد بن باديس سنة 1925 النضال من خلال صحيفة خاصة (المنتقد) ،و في الثلاثينيات و مع وجود جمعية العلماء كهيئة ثقافية ، اختار النضال من خلال جريدة (الشهاب) ، و في إفتتاحية العدد الأول من جريدة الشعلة كتب رئيس تحريرها الأستاذ أحمد رضا حوحو (أن هذه الجريدة ستكون سهاما في صدور اعدائك ، و قنبلة متفجرة في حشد المتكالبين عليك) وهنا يقصد بالأعداء أعداء الوطن و خصوم الجمعية ، و قد تبنت جريدة الشعلة أسلوبا صحفيا ساخرا ووضعت بذلك أول حجر أساسي في الصحافة الجزائرية الساخرة،التي تعتمد النقد المباشر و تسمية الأسماء بغير أسمائها و بأسلوب ساخر و هزلي، و استمرت في الصدور بصفة منتظمة من 15 ديسمبر 1949 الى 8 فيفري 1951 و صدر منها 54 عددا، و بعد توقيف جريدة الشعلة من طرف الإدارة الإستعمارية التي لم يتسع لها صدرها، إنتقل الى جريدة البصائر ، و نشر فيها سلسلة مقالات تحت عنوان (في الميزان) و هو بورتراي جمع فيه بين الأسلوب الجدي و الأسلوب الهزلي، رسم فيه شخصيات مؤثرة و متميزة من هيئة الأساتذة بمعهد عبد الحميد بن باديس، و هم في نفس الوقت أعضاء في جمعية العلماء (أحمد حماني عبد الرحمن شيبان، نعيم النعيمي، عبد القادر الياجوري، عباس بن شيخ الحسين، حمزة بوكوشة)

رضا حوحو الأديب

في المجال الأدبي اشتهر أحمد رضا حوحو برواية (غادة أم القرى) التي تعتبر باكورة الروايات الجزائرية،صدرت سنة 1947 و هي عمل ادبي يصنفه النقاد العرب تارة كرواية قصيرة ، و تارة أخرى ككقصة طويلة ، و هي من حيث الشكل تبدو كتجربة روائية ر ائدة تعرضت الى موضوع يعتبر شائكا في ذلك الوقت (منتصف الأربعينات) و هو موضوع (الحريم) و الوضع الإجتماعي للمرأة العربية المسلمة، و قد وضعت رواية غادة أم القرى الحجر الأساسي للرواية الجزائرية باللغة العربية، و في سنة 1949 نشر مجموعته القصصية (صاحبة الوحي) و فيها وضع حوحو عصارة أفكاره حول الواقع الإجتماعي في زمانه، و تعتبر بحق صورة أدبية وثقت الحياة الأدبية و الإجتماعية أواخر الأربعينيات ، و في سنة 1953 نشر رضا حوحو كتاب (مع حمار الحكيم) و واضح من خلال العنوان و المضمون ، تأثر كاتبه بكتاب الأديب المصري توفيق الحكيم (حماري قال لي) و قد نسج الكتاب على منوال كتاب توفيق الحكيم ، و هو عبارة عن مقالات حوارية جمعت بين الجد و الهزل ، بين رضا حوحو و حمار التوفيق الحكيم حول قضايا سياسية و اجتماعية محلية ، كتبها بنفس الأسلوب الذي اكتشفه في كتاب (حماري قال لي) و في سنة 1955 نشر مجموعة قصصية أخرى بعنوان (نماذج بشرية) جمع فيها بين التحليل النفسي البسيط و النقد الإجتماعي بأسلوب هزلي و ساخر، و هو كما يصفه صاحبه نماذج حية مختارة من مختلف شرائح المجتمع الجزائري فترة الخمسينيات، حاول الأستاذ حوحو نقلها كما من دون خيال و لا تزويق و لا زيادة و لا نقصان ، و بهذا الشكل يكون الشهيد أحمد رضا حوحو قد جمع بين النضال الإجتماعي عبر الجمعيات الثقافية و الفنية ، و الصحافة الجادة و الهزلية، وحسب بعض المصادر التاريخية، فإن الشهيد كان يجيد فن التمثيل على المسرح و العزف على العود و صيانة بعض الآلات ، و رياضة كرة القدم و الترجمة الفورية من العربية الى الفرنسية و العكس ، و قد استفاد من هذه الخاصية أو الموهبة في وظيفته بمجلة (المنهل) و بمصلحة البرق في مكة المكرمة .

قالوا عن الأديب الشهيد

قال د/ عمار طالبي أول مدير لجامعة الأمير عبد القادر بقسنطينة عن الشهيد أحمد رضا حوحو ، بمناسبة يوم الشهيد نقلا عن موقع يومية النصر عدد 20 فيفري 2020 (ساعدته ،حركة بن باديس من خلال إنشاء مدرسة أدبية ، لتجديد الشعر و النثر و أدخلت القصة و الرواية و المسرحية ضمن باب جديد، فقد حررت هذه المدرسة، حسبه، الكتابة من الأسلوب القديم، و أصبح الأدب و الشعر يقدمان بأسلوب معاصر ، فتكونت مدرسة الأدب في الجزائر، و ضمت شعراء كالهادي السنوسي و أمير الشعراء محمد العيد آل الخليفة) و لنفس المصدر و بنفس المناسبة تحدث د/ عبد الله حمادي عن الشهيد رضا حوحو فقال (بأن الأديب رضا حوحو ، هو من أنشأ جمعية المزهر القسنطيني سنة 1949 ، و هي جمعية تهتم بالمسرح و الموسيقى، حيث كان يجيد العزف على الكمنجة و العود و آلات مختلفة)

الشهـــادة

مشكلة الإحتلال الفرنسي كانت عميقة و معقدة مع النخب الجزائرية المفرنسة أو المعربة،فهو يعتبر كل مثقف هو مشروع (قائد) أو إرهابي بمفهومه الخاص للإرهاب، و لذلك تفطن العلامة عبد الحميد بن باديس لهذه النقطة، و أدرك مبكرا هواجس المستعمر، فكانت الثورة الثقافية و العلمية التي قادها بداية القرن بوسائل بسيطة ، فكونت طليعة سياسية و ثقافية قامت على أكتافها ثورة أول نوفمبر،وعندما أغتيل محافظ شرطة بمدينة قسنطينة يوم 29 مارس 1956 توجهت أنظار الإدارة الفرنسية مباشرة الى الصحفي و الأديب أحمد رضا حوحو و اعتبرته المحرض الأول على الإغتيال سواء بطريقة مباشرة أو غير مباشرة ، حيث أقتيد من منزله الى سجن الكدية و بعد الإستنطاق تم إعدامه بمنطقة جبل الوحش، و رميه في حفرة بوادي حميميم ، تم إكتشافها بعد الإستقلال و دفنها بمقبرة الشهداء بمدينة الخروب.. هكذ عاش واستشهد الأديب و الكاتب و الصحفي و المثقف الكبير أحمد رضا حوحو(رحمة الله عليه)

م / رباعة

القبس

شهرية سياسية ثقافية رقمية

تصدر عن وكالة القبس للنشر الإلكتروني

ص ب: 42 أولاد موسى 35011
بومرداس

الهاتف
0662.20.73.78

إعتماد النسخة الورقية
رقم: 1009 ن ، ع 99

البريد الإلكتروني
Email:agcelqabasdz@gmail .com

مدير النشر و التحرير
محمد رباعة

(قاتلوهم يعذبهم الله بأيديكم و يخزهم
و ينصركم عليهم و يشفي صدور قوم مؤمنين)
سورة التوبة الآية:14

يا فلسطين

إن في قلب كل مسلم من قضيتك جروحا دامية، وفي جفن كل مسلم من محنتك عبرات هامية، وفي عنق كل مسلم لكي ـ يا فلسطين ـ حق واجب

الأداء ، وذمام متأكدة الرعاية .يا فلسطين إذا كان حب الأوطان من أثر الهواء و التراب، فإن هوى المسلم لك أن فيك أولى القبلتين، و أن فيك المسجد الأقصى الذي بارك الله حوله، و إنك كنت نهاية المرحلة الأرضية، وبداية المرحلة السماوية، من تلك الرحلة الواصلة بين السماء و الأرض صعودا، بعد رحلة آدم الواصلة بينهما هبوطا، وإليك ترامت همم الفاتحين، وترامت الأينق الذلل بالفاتحين، تحمل الهدى و السلام، و شرائع الإسلام، وتنقل النبوة العامة إلى أرض النبوات الخاصة، وثمار الوحي الجديد إلى منابت الوحي القديم، وتكشف عن الحقيقة التي كانت وقفت عند تبوك بقيادة محمد بن عبد الله عليه الصلاة و السلام ،ثم وقفت عند مؤتة بقيادة زيد بن حارثة، فكانت الغزوتان تحويما من الإسلام عليك، و كانت الثالثة وردّا، و كانت النتيجة أن الإسلام طهّرك من رجس الرومان، كما طهّر أطراف الجزيرة قبلك من رجس الأوثان. يا فلسطين ما بال هذه الطائفة تدّعي ما ليس لها بحق، وتطوي عشرات القرون لتصل ـ بسفاهتها ـ وعد موسى بوعد بلفور و أن بينهما لمدا وجزرا من الأحداث، وجذبا ودفعا من الفاتحين . ما بالها تدّعي إرثا لم يدفع عنه أسلافها غارة بابل، و لا غزو الرومان، و لا عادية الصليبيين، و إنما يستحق التراث من دافع عنه وحامى دونه،

الشيخ : البشير الإبراهيمي

في هذا العدد

موضوع الغلاف: الشهيد رضا حوحو بين السياسة و الصحافة والأدب..... ص: 5
مقالات: الشهيد: أحمد رضا حوحو، رائد الصحافة الساخرة في الجزائر.....ص:7
رضا حوحو الصحفي و الإنسان ص:8
المرأة عند أحمد رضا حوحو ص:10
أحمد رضا حوحو في ذاكرة مجلة المنهل ص:14
أحمد رضا حوحو في الصحافة التونسية ص:15
ثقافة : وثائقية النص في رواية غادة أم القرى ص:19
قراءة في مجموعة صاحبة الوحي ص:20
رحلة في كتاب: رضا حوحو و المسرح ص:21
حديث الروح: ومضات من حياة الشهيد..... ص: 22

الشهيد أحمد رضا حوحو

رائد الصحافة الجزائرية الساخرة

بقلم: د/ سكينة العابد

ليس كافيا بالمطلق أن نتحدث عن شخصية جزائرية تاريخية هامة والتركيز على جانب واحد من جهودها دون الجوانب الأخرى، خصوصا إذا تعلق الأمر بشخصية هي في تصوري ظاهرة في زمنها تحمل كل مظاهر التجديد والإبداع.

و سأتطرق لأحد الأقلام الجزائرية التي تركت أثرها في الذاكرة وهو الشهيد الأديب والصحفي أحمد رضا حوحو الذي لجأ للصحافة لتكون مرتعا لأفكاره وأراءه حول مختلف القضايا السياسية والثقافية والاجتماعية والأدبية التي عايشها والمجتمع الجزائري آنذاك، فيكفي أن نطلع على التركة الأدبية والصحفية له لنتأكد من ذلك، ولكن يبدو أن حوحو سقط من ذاكرة الباحثين في ميدان الصحافة وكتابها.

فكان مما لاحظناه قلة الإشارة إليه بكونه شخصية صحفية على الرغم من نشره لعشرات المقالات في صحيفة البصائر لسان حال جمعية العلماء المسلمين الجزائريين، وصحيفة الشعلة التي أسسها وأدارها بنفسه والتي حوت هي الأخرى على العديد من المقالات خاصة منها المقالات الساخرة التي نعده من أوائل من أسس لها في الجزائر.

وعلى الرغم من كل ذلك؛ ظل رضا حوحو في منظور معظم الباحثين شخصية أدبية محضة بناء على الأثار الأدبية التي تركها ، بل هناك من يعتبره رائدا للقصة في الجزائر بدءا من قصة غادة أم القرى التي كتبها أثناء إقامته بالحجاز سنة **1947** والتي يعدها معظم النقاد أول قصة يكتبها أديب جزائري باللغة العربية ، في تغافل مقصود أو غير مقصود عن جهوده الصحفية الهامة.

وحتى نعطي للرجل حقه سنوازن بين شق الأديب وشق الصحفي الذي يدعمه العدد الهائل من المقالات المنشورة في الصحف المذكورة التي نراها تستدعي التأمل لأنها تعرفنا على شخصيته الصحفية ودواعيه للنشر والكتابة في الصحافة حينها، كما تكشف لنا بالموازاة مجمل القضايا التي عاشها المجتمع الجزائري أثناء الاستعمار وأثناء الفترة التي كتب فيها رضا حوحو، وأراءه تجاه المستعمر سواء عبر مقالاته العادية أو عبر الأسلوب الساخر الذي استعاره من كتاباته الأدبية فيما يبدو.

إن كل الشواهد التاريخية تؤكد أن رضا حوحو كان حاضرا في الصحافة والأدب ،وبأن الكتابة الساخرة كانت تطغى على كليهما إلا أنه ظل مبعدا عن توصيفه بالصحفي حتي عن كتابات من اهتموا به أمثال: مؤلف تاريخ الصحافة العربية الجزائرية الذي لم يشر إليه كصحفي ساخر اعتمادا على ما كتبه في جريدة البصائر، أو عموده الساخر (المسامير) بجريدة الشعلة، وإنما اكتفى بالحديث عن أبي اليقظان وأسلوبه الساخر، وفي هذا دلالة على أن المؤلف يعتبر أحمد رضا حوحو أديبا أكثر منه صحفيا .

والملاحظة نفسها بالنسبة صالح خرفي في كتابه: أحمد رضا حوحو شهيد الثورة الجزائرية الذي ركز عليه كأديب وقاص ولم يشر إليه مطلقا كصحفي.

كما أن أبو القاسم سعد الله بدوره اعتبره أديبا متميزا بظاهرتين هما: السخرية وبراعة الحوار، وتوصيفه بالأديب الملتزم والذي يحظى بشخصية متميزة في الأدب الجزائري الحديث.

ونعتقد أن أحكام هؤلاء الكتاب مؤسسة على سببين رئيسيين:

البصائر

الشعلة

-السبب الأول: تماهي الأدب والصحافة في ذلك الوقت أو في فكر هؤلاء واشتغال رضا حوحو بهما وفي أن واحد، ثم غلبة كتاباته الأدبية والقصصية جعلتهم يميلون لاعتباره أديبا وفقط، ، ضف إلى ذلك عدم نضوخ فكرة الصحافة الساخرة إبان تلك الفترة.

-السبب الثاني: اعتبار أن ما كتبه في جريدة الشعلة هو عبارة عن ركن أكثر منه عمودا صحفيا ساخرا، نظرا لمحتواه المختصر من جهة، ولانعدام الدراسات الإعلامية الأكاديمية التي تناولته بالدراسة وأثبتت هويته الإعلامية.

وبالمحصلة؛ تبقى سمة السخرية لصيقة برضا حوحو حتى فيمن تحدث عنه كأديب لأنها واضحة في جميع آثاره، حتى الجاد منها، فقد لجأ إليها للتعبير عن خلجات نفسه وأراءه في شؤون الحياة،وتعد السخرية من أصعب الفنون الصحفية كونها منفتحة على الكثير من الحقول المعرفية، إضافة إلى جمعها بين عدة متناقضات؛ ففي الوقت الذي يجب أن تكون لغة النص الصحفي سهلة وسلسلة، يجب أن تكون في الوقت ذاته محبوكة بصور بلاغية قوية، في غير تناقض مع شرط الموضوعية والإبداع ، ومن جانب آخر يجب أن تصنع البسمة بمهنية جادة في تناولها للموضوعات عن طريق سيطرتها التامة على اللغة والتعبير محققة أسلوبا سهلا من جهة وممتعا من جهة أخرى .

فالكتابة الساخرة أو (الكاريكاتورية) تعد من أقوى الكتابات الصحفية، فهي تجذب القارئ لمزاوجتها بين الجد والهزل والمتناقضات الغريبة والمبطنة، تعري الواقع بصور غير مألوفة لكنها مفهومة، هي باختصار صحافة بعيدة عن النمطية لكنها الأقرب لذهن القارئ وسجيته الناقدة.

وهذا ما تلمسناه فعلا في كتابات رضا حوحو، فالكم الهائل من هذه المقالات الساخرة التي نزفها قلمه وخصوصية مضامينها باستخدام اللغة الساخرة بدءا حتى من عناوين المقالات وليس المحتوى فقط: مثل (فأر شاطودان، قرد الميلية ...) يعد تأسيسا لهذا النوع من الصحافة في الجزائر، ولولا وفاته المبكرة رحمه الله واغتياله من الاستعمار الفرنسي الذي كانت من مهامه مطاردة الصحفيين وتكميم أفواههم لكان إنتاجه أوفر ، وأثره أكبر ، ولا نستبعد أن هذه الكتابات هي أحد الأسباب المباشرة لملاحقة المستعمر له وإن تحجج هذا الأخير بغيرها.

وتبقى الأعمال الأدبية والصحفية لحوحو شاهدة على تجربة سردية فريدة وعميقة وباذخة اختزلت تاريخ الوطن وتحولاته وأسهمت في إبعاد الفرد الجزائري عن التضليل الإعلامي الاستعماري وتحصينه من الاختراق الثقافي والتدمير الحضاري والمعنوي.

د / سكينة العابد

الشهيد أحمد رضا حوحو

الصحفي... و الإنسان

بقلم: محمد رباعـــة

من المفروض أن يكون العنوان ، معكوسا هكذا (أحمد رضا حوحو الإنسان و الصحفي) لكن للضرورة البلاغية أحكام فالنون الساكنة في آخر العنوان أفضل من الياء ، وللنون رنين جذاب و جميل و موسيقي أخاذة ، خاصة اذا كان قبلها ألف، لكن في العرض سنبدأ برضا حوحو الإنسان ... ثم رضا حوحو الصحفي...

تعرف النخب الثقافية الجزائرية و العربية الإسلامية، بمختلف توجهاتها و تناقضاتها، احمد رضا حوحو كأديب كبير و عملاق مؤسس الرواية الجزائرية برائعته (غادة أم القرى) كما تعرفه ناشطا ثقافيا و كاتب مسرحيات جادة و هزلية ناقدة لظواهر سلبية إجتماعية و اقتصادية ، لكن في هذه الورقة نحاول معرفة الشهيد أحمد رضا حوحو الأنسان و الصحفي .

رضا حوحو الإنسان من دون شك كان محظوظا بالمقارنة مع أترابه من مواليد بداية القرن ، لقد عاش في أسرة ميسورة الحال تقترب من البورجوازية الصغيرة، و ترعرع في ظل أوروسطوقراطية جزائرية محافظة، و هذا حظه الأول ، فعائلته تنتمي الى قبيلة كبيرة ذات وهج و تأثير كبيرين في منطقة سيدي عقبة مثوى الصحابي الجليل الفاتح عقبة بن نافع ، فكانت تقابل ظغوطات الإستعمار بالتهديد بإعلان الحرب عليه، و من حظوظه أنه حفظ القرآن الكريم على شيوخ القرية وتعلم منهم مبادىء اللغة العربية و الدين الإسلامي، ثم دخل المدرسة النظامية ليتعلم و يتقن اللغة الفرنسية، و لما تحصل على الشهادة الإبتدائية أرسله والده الى مدينة سكيكدة لمتابعة التعليم المتوسط، حيث اجتاز هذه المرحلة بتفوق ونجاح بحصوله على شهادة الأهلية،لكن في ما يخص التعليم الثانوي تتضارب الإخبار فتقول رواية أنه درس حتى السنة الأولى أو الثانية ثم تم فصله بطريقة تعسفية من طرف الإدارة، ورواية أخرى تؤكد منعه من مواصلة التعليم الثانوي، فبلوغه هذه المرحلة من التعليم في ذلك الوقت سنة 1927 يعتبر إنجازا عظيما، فقليل من الجزائريين من بلغ تلك المرحلة من التعليم ، و شهادة الأهلية أو التعليم الثانوي ، تعادل شهادة الماجيستير في الوقت الحالي، لكن د/ عبد الله حمادي يقول أن حظ الشهيد رضا حوحو من التعليم العربي أو الفرنسي قليل جدا، و كأنه يقلل من قيمة الشهادات التي تحصل عليها الشهيد هنا في الجزائر على الأقل و هي مهمة جدا بمقاييس ذلك الوقت، دون أن ننسى الشهادة العليا التي تحصل عليها بعد دراسة شاقة لمدة ثلاث (3) سنوات بكلية الشريعة بالمدينة المنورة سنة 1938و هي تعادل الآن (2024) أكثر من شهادة الدكتوراه ، و في العودة الى مسقط رأسه وجد وظيفة قارة و مرموقة في انتظاره بمصلحة التلغراف بإدارة البريد، ومن هنا بدأ حياته بشكل طبيعي فلم يكن بها أي فراغ و لم يعش مرارة البطالة و الإحتياج كغالبية الجزائريين في ذلك الوقت، و لذلك دخل القفص الذهبي مبكرا ، ليحصل على مزيد من الإستقرار النفسي و السعادة، فكان زواجه سنة 1934 عندما بلغ من العمر 25 سنة .

في المدينة المنورة التي وصلها رفقه عائلته سنة 1935 سجل للدراسة بكلية الشريعة الإسلامية و تخرج منها بشهادة عليا بعد ثلاث (3) سنوات من الدراسة، و نظرا لتفوقه على زملائه الطلبة حيث شد إنتباه أساتذته لنبوغه و سرعة بديهيته، تم إختياره للتدريس بنفس الكلية التي تخرج منها، وبنفس الشهادة الأولى .. و بعد تخرجه من كلية الشريعة بالمدينة المنورة

تعرف النخب الثقافية الجزائرية و العربية الإسلامية، بمختلف توجهاتها و تناقضاتها، احمد رضا حوحو كأديب كبير و عملاق مؤسس الرواية الجزائرية برائعته (غادة أم القرى) كما تعرفه ناشطا ثقافيا و كاتب مسرحيات جادة و هزلية ناقدة لظواهر سلبية إجتماعية و اقتصادية ، لكن في هذه الورقة نحاول معرفة الشهيد أحمد رضا حوحو الأنسان و الصحفي .

و التدريس بها ، تنتهي مرحلة رضا حوحو الإنسان، وتبدأ مرحلة رضا حوحو الصحفي.

بداية الغيث

بداية الغيث في مشواره الصحفي ، كان مقالا بعنوان (الطرقية في خدمة الإستعمار) نشره بمجلة (الرابطة العربية) و هي مجلة فكرية ذات توجه علماني قومي ، و هولا يزال طالبا في كلية الشريعة، وبالنظر الى سمعته الثقافية و الفكرية المبكرة التي أهلته للتدريس بنفس الكلية بعد التخرج منها مباشرة، دعاه ناشر مجلة (المنهل) الشهرية للعمل معه كسكريتير للتحرير ، و هو وظيفة يحلم بها الكثير في كل زمان و مكان، و هي عادة لا تسند الا للصحفيين الكبار ذوي الخبرة العميقة في التحرير و التصميم و الإخراج، في مجلة (المنهل) الرائعة و المحافظة، برزت موهبته الصحفية كتابة و إدارة ، و استمر عمله كصحفي أول في شهرية المنهل لمدة سنتين (2) تعرف فيها على رواد السياسة و الثقافة العرب و المسلمين في الخليج العربي بصفة عامة و في العالم الإسلامي بصفة عامة، حيث كانت المجلة المحافظة و هي في بدايتها تحاول إستقطاب أقلام من الوزن الثقيل في العالم الإسلامي، و فيها كانت تمر مقالات الكبار بعد توقيع الصحفي الشاب أحمد رضا حوحو الذي جعلته الأقدار في ذلك المنصب الهام و الخطير ، و أول باب اقترحه رضا حوحو لإدارة مجلة المنهل ،كان يتمحور حول ترجمات مختارة من الأدب الغربي، يقول الأستاذ عبد القدوس الأنصاري ناشر مجلة المنهل في تقديم لأولى ترجمات رضا حوحو من الفرنسية الى العربية (..تعميما للمعرفة ونشرا لأفنان الثقافة، رأينا أن نفتح هذا الباب في المجلة، وسننشر فيه ما لذّ وطاب وحسن وأفاد، من ثمار التفكير الغربي أدبا وعلما، وقد افتتحناه بترجمة فصول من كتاب الحج إلى بيت اللّه الحرام، لناصر الدّين دينيه الفرنسي المسلم، لما فيه من متعة أدبية وعلمية، ولما له من علاقة خاصّة بهذه البلاد، وقد عهدنا بأمر ترجمة هذه الفصول إلى أديب أخذ من اللّغة الفرنسية بحظ وافر، هو أحمد رضا حوحو) حيث قام رضا حوحو بترجمة مختارات أخرى لأشهر الأدباء الفرنسيين ك: فولتير و فيكتور هيقوا ، و نشرها تباعا في مجلة المنهل ، و قد تأثر كثيرا بكتاب البؤساء ، و نسج من وحيه مقالا بعنوان (خواطر حائر) و تعتبر سلسلة مقالاته حول الإستشراق و المستشرقين أهم ما كتبه و نشره في هذه المجلة العربية الرائدة.

بعد عودته الى الجزائر سنة (46 / 47) نشر أول مقال له بجريدة البصائر اللسان المركزي لجمعية العلماء المسلمين الجزائريين، و هو نفس المقال الذي نشره بمجلة (المنهل) بعنوان (خواطر حائر) واستمر كاتبا في جريدة البصائر الى غاية 15 ديسمبر 1949 حيث أصدر رفقة مجموعة من شباب جمعية العلماء الثائرين (أحمد حماني ، الصادق حماني، أحمد بوشمال الشاب المقرب جدا من العلامة عبد الحميد بن باديس) جريدة الشعلة التي ترأس تحريرها و وضع فيها كل طاقاتـــه

الفكرية و مقدراته الصحفية، و في نفس الجريدة إستعمل الصحفي رضا حوحو الأسلوب الساخر الهزلي في نقد الظواهر الإجتماعية السلبية ، متأثرا في ذلك بالكاتب الساخر عبد القادر المازني، و بذلك يعتبر حوحو رائد الكتابة الصحفية الساخرة في الجزائر،حيث لم يظهر هذا النوع من الصحافة الجزائرية سوى بعد الإنفتاح السياسي و الإعلامي سنة 1990 مع جريدة الصح آفة الأسبوعية الناطقة بالعربية وأسبوعيات أخرى ناطقة بالفرنسية، جريدة الشعلة كانت تطبع بالمطبعة الإسلامية التي أسسها الشيخ إبن باديس و تتكون من أربع (4) صفحات من حجم متوسط استمرت من 15 ديسمبر 1949 الى 8 ـ فيفري ـ 1951 حيث صدر منها 54 عددا و هي من ناحية الخط الإفتتاحي كانت مقربة جدا من جمعية العلماء و لكنها أكثر حدة و شراسة من صحف و مجلات الجمعية التي كانت تبدو هادئة و رصينة بحكم طبيعة كتابها و بحكم نشرها من طرف مؤسسة أهلية رسمية حائزة على إعتماد من الإدارة الفرنسية يفرض عليها شروطا و التزامات كثيرة يجب عليها مراعاتها حتى لا تجد الإدارة الفرنسية أعذار و تحلها،فكانت (الشعلة) تلتزم بمواقف جمعية العلماء السياسية و الإجتماعية و الثقافية، و في نفس الوقت تعبر عن جيل ثان أو ثالث من شبيبة الجمعية، و هو جيل ثائر بطبيعته الشبابية، ليعاود الكتابة و النشر في جريدة البصائر لسان حال جمعية العلماء بعد توقيف جريدة (الشعلة) و هذه المرة بسلسلة عنونها ب (في الميزان) وهي عبارة عن بورتريهات لشخصيات ثقافية من أساتذة معهد إبن باديس الذي اشرف على إدارته الشهيد في فترة من الفترات ، جمع فيها بين الأسلوبي الكتابة الصحفية الجادة و الساخرة، و يتعلق الأمر بالأساتذة الكتاب (أحمد حماني ، عبد الرحمن شيبان، نعيم النعيمي، عبد القادر الياجوري، عباس بن شيخ الحسين، حمزة بوكوشة)

في الصحافة التونسية

إنتبه الشهيد أحمد رضا حوحو الى الصحافة التونسية التي كانت متقدمة كثيرا على الصحافة الجزائرية منتصف أربعينات القرن الماضي، بحكم تركيز الإحتلال الفرنسي على المغرب الأوسط (الجزائر) و تخفيف الضغط على الجناحين الأيمن (المغرب) و الأيسر (تونس) في تونس الأربعينات إشتهرت مجلة (الثريا) الثقافية الشهرية التي كانت نموذجا للصحافة الثقافية و تشبه من حيث الشكل و المضمون مجلة (الرسالة) المصرية التي أسسها و أشرف عليها الأديب أحمد حسن الزيات ، في العدد ال 12 من مجلة الثريا نشر حوحو مقالا بعنوان (الأدب الحي .. بين القصة و المقالة) وواضح من العنوان أنه دراسة مقارنة بين أدبي المقالة و القصة، و فيه ينتصر الكاتب للقصة على حساب المقالة، كما ينتصر للأديب توفيق الحكيم ، على حساب الأديب محمود تيمور ، و في هذا المقال يرتدي شهيدنا ثوب المحلل والكاتب الأكاديمي الموضوعي ، فجاء المقال شيقا سلسا يقترب من أسلوب كبار الأدباء و النقاد في عصره ك: عباس العقاد و طه حسين، لكن الموضوعية تخونه في بعض الفقرات فيميل الى المبالغة في مدح أستاذه المؤثر الأديب توفيق الحكيم، و من مجلة (الثريا) ينتقل الصحفي الشهيد الى جريدة (الأسبوع) في أواخر شهر أوت 1948 لينشر مقالا تحت عنوان (جمعية العلماء الثانية) إستعرض فيه الكاتب أهم المحطات التي مرت بها الجمعية ، مشيرا الى المضايقات و العراقيل و الإنتقادات التي واجهتها سواء من طرف الإدارة الإستعمارية أو أذنابها من الطرقيين ،و استمر في الكتابة في هذه الجريدة الأسبوعية بصفة دورية،و في شهر نوفمبر 1953 نشر مقالا مطولا في أعداد متسلسلة هو عبارة عن قراءة إنطباعية لكتاب (الشابي حياته و شعره) للأستاذ أبي القاسم كرو، و نسجل هنا أن المقالات التي نشرها الشهيد أحمد رضا حوحو في الصحافة التونسية التي رحبت بكاتاباته أيما ترحيب،و لقت رواجا وقبولا لدى القراء في تونس الشقيقة، قد اتخذت طابعا أدبيا صرفا، بخلاف المقالات التي نشرها في الصحافة الجزائرية، سواء جريدة البصائر أو جريدة الشعلة، فقد اخذت إتجاها إجتماعيا أو سياسيا محتشما أومبطنا بالرموز و السخرية.

و بطبيعة الحال هناك فارق كبير في أسلوب و شكل الكتابة في الجريدة اليومية ، و الأسبوعية ، و المجلة

عامة و الثقافة الفرنسية خاصة، حيث كان مدمنا على متابعة الصحف و المجلات و روايات الجيب الفرنسية، جمع الشهيد بنجاح واضح بين الأسلوب العربي في الكتابة الصحفية و الأدبية و الأسلوب الفرنسي ، فجاءت كتاباته الصحفية راقية و أنيقة من ناحية الفصاحة و البلاغة و التزام شديد بقواعد اللغة العربية من نحو و صرف و إملاء ..

الأسبوعية و الشهرية، و من فضل الله ﷻ أن الشهيد أحمد رضا حوحو و بعد الإطلاع على نماذج من كتاباته الصحفية المختلفة ، يبدو أنه جد متحكم في تقنيات الكتابة الصحفية على مختلف أشكالها، كما أن الصحافة الادبية التي تمثلها المجلات الثقافية الاسبوعية و الشهرية، هي جزء هام من الصحافة بصفة عامة، و تسمى في بعض الأحيان الصحافة المتخصصة، و هكذا برع الشهيد في مختلف فنون الكتابة الصحفية شبه السياسية أو الثقافية او الإجتماعية،و اتقن أسلوب الكتابة الجاد و الساخر مهما كانت طبيعة و دورية الجريدة أو المجلة، و من ناحية أخرى كما ذكرنا في الفقرات السابقة، يعتبر حوحو رائد الصحافة الساخرة في الجزائر . وبحكم إنفتاحه على الثقافات الغربية بصفة عامة و الثقافة الفرنسية خاصة، حيث كان مدمنا على متابعة الصحف و المجلات و روايات الجيب الفرنسية، جمع الشهيد بنجاح واضح بين الأسلوب العربي في الكتابة الصحفية و الأدبية و الأسلوب الفرنسي ، فجاءت كتاباته الصحفية راقية و أنيقة من ناحية الفصاحة و البلاغة و التزام شديد بقواعد اللغة العربية من نحو و صرف و إملاء ... فرضا حوحو الإنسان من دون شك كان محظوظا عندما تمكن من الوصول الى مرحلة التعليم الثانوي في ذلك الوقت (عشرينيات القرن الماضي) كما كان جد محظوظ عندما تحصل على وظيفة مرموقة لدى إدارة البريد و هو في ريعان شبابه،و كان الحظ في انتظاره هناك بالمدينة المنورة بجوار النبي ﷺ بتعيينه أستاذا في كلية الشريعة بمجرد تخرجه منها ، ثم تعيينه سكريتيرا للتحرير في مجلة (المنهل) السعودية الشهرية ، و هي أرقى المجلات العربية حتى الآن ، كما كان محظوظا و هو يصدر جريدة (الشعلة) ألأسبوعية الساخرة ليحصل بها على الريادة في هذا المجال ، و كان محظوظا أيضا بإتقانه فن البورتري الذي كان شائعا و لا يزال في الصحافة الغربية عامة و الفرنسية خاصة، بالصور النموذجية التي ألفها عن زملائه الأساتذة بمعهد إبن باديس ، و كان الحظ حليفه بإستقبال كتاباته في أرقى الجرائد و المجلات التونسية و إقبال القراء على قراءتها و الإستمتاع بمضومنها و أسلوبها الراقي ، و التي إنتقل فيها ببراعة واضحة من الأسلوب الصحفي الخفيف و المباشر أو الساخر، الى أسلوب الكتابة التحليلية الأكاديمية الدقيقة و الموضوعية

و أخيرا ... كان محظوظا بنيله الشهادة الختامية حيث توجه الله شهيدا في سبيله ، فكان عند الله مبرمجا للشهادة منذ أن ادرك الإحتلال الفرنسي خطورته و خطورة كتاباته الرمزية على الوجود الفرنسي حيث اعتبرتها تحريضا للسكان عليه ، فهددته مصالح أمن الإحتلال عدة مرات بأنه المسؤول الأول عن أية عملية عسكرية ضد الأمن الفرنسي، و كما اختلف الناس في سنة مولده بين 1909 و 1910 و 1911،اختلفوا في طريقة و مكان إغتياله،رواية تقول أن الأمن الفرنسي المحتل قاده ليلا الى غابة جبل الوحش و اغتاله بوحشية ، و رواية أخرى تقول أنه أغتيل و هو في سيارة الأمن في الطريق الى حي وادي حميميم بين قسنطينة و الخروب، رحم الله الشهيد السياسي و الأديب و الصحفي أحمد رضا حوحو.. شهيد الكلمة الحرة الصادقة و الجريئة ... شهيد الصوت الغاضب في وجه الإستعمار الفرنسي البغيض و البشع .

م/ رباعـــة

المرأة عند أحمد رضا حوحو

"غادة أم القرى" نموذجاً

بقلم: د/ محمد بن عبد الله العوين

من نعمة الله على الديار المقدسة احتضانها من هفت قلوبهم إليها، فسكن وجاور في مكة والمدينة علماء وباحثون وفقهاء وأدباء أفادوا واستفادوا، وشاركوا في النهضة الفكرية والأدبية، واستقر بعضهم وطابت له الحياة فأصبح فيما بعد مواطناً كامل المواطنة، وعاد بعضهم إلى دياره بعد سنوات من الطلب والدرس، والتعلم والعمل.

ومن هؤلاء الذين أقاموا بين أفياء المدينة المنورة ومكة المكرمة الأديب الجزائري النابه أحمد رضا حوحو(1) فقد أقام فيها أثني عشر عاماً بدءاً من عام 1934م الموافق 1354هـ إلى عام 1946م الموافق 1366هـ، وعاد إلى موطنه بدوافع قاسية معيشية فيما يبدو، ذلك أن مصادر الرزق في الحجاز قد شحت إلى مرحلة الفاقة والفقر في السنوات الأخيرة من الحرب العالمية الثانية، وقد وصف هذه الحالة الصعبة الكاتب محمد حسن فقي في مقالته التي عنونها ب "ذكرى عام 1350ه السيئة"(2) ووقعها ب "أنا" وردع عليه كتاب كثيرون ينكرون عليه شتيمته الدهر، ومنهم حمد الجاسر بمقالته "قل الحق لو كان مراً"(3).

لقد كانت سنوات الحربين وما بينهما شديدة القسوة على الحجاز، فقد قل المستورد، وشحت الأرزاق، وتوقف بعض الصحف عن الصدور لندرة الورق، ولأجل هذا تنقل حوحو بين الوظائف سعياً إلى لقمة عيش كريمة فقد عمل في مجلة "المنهل" سكرتيراً للتحرير فيها، مع كونه مدرساً في مدرسة العلوم الشرعية في المدينة في عهد مؤسسها السيد أحمد الفيضي آبادي، وهي المدرسة التي تخرج فيها حوحو أيضاً وذلك يدل على نباهته وفطنته ونبوغه.

ولإجادته اللغتين الفرنسية والإنجليزية عمل مترجماً بمديرية البرق والهاتف في مكة المكرمة بعد أن ضاقت به المعيشة في المدينة على إثر اندلاع الحرب العالمية الثانية.

لذا فإن هذا التفسير هو الوحيد لعودته إلى الجزائر عام 1946م 1366هـ علّه يجد له مخرجاً من أزمته المعيشية بدليل أنه كتب إلى عبد القدوس الأنصاري عام 1955م 1375هـ يبلغه بعزمه على العودة نهائياً إلى الحجاز هو وأسرته، لأنه ربما لم يجد الحال أحسن في الجزائر منها في الحجاز. ولكن القدر السيئ أوقعه في يد الفرنسيين من شخصيات جزائرية أخرى على إثر غتيال مفوض البوليس الفرنسي (سان مارشلي) في 1956/3/29م الموافق 1376هـ وعمره أربعة وأربعون عاماً.

ريادته الفكرية

على الرغم من تعلق حوحو بالأدب واتخاذه له صنعة ومهنة إلا أنه يقسو على نفسه ويريد منها ألا تلجأ إلى هذه الصنعة البائرة التي لا تسمن ولا تغني من جوع، فقد استشف برؤيته الحسية الثاقبة ومن قراءاته في الثقافة الفرنسية ومن معاناته المعيشية الحادة أن العلوم النظرية ومنها الأدب بكل صنوفه لن يكون لها شأن في المستقبل القريب، فكتب قصته التي تبشر بما سيكون عليه العالم عام 2072م الموافق 1495ه أي بعد مائة وثلاثين عاماً من كتابته قصته: الأديب الأخير(4) التي صور فيها انصراف الناس عن الأدب واهتمامهم بالعلوم التطبيقية حتى إنه نشر قصيدته على شكل إعلام مدفوع الأجر. وصور الأديب في حال رثة وفقر لا يخفى على الناظر إليه. ويكمل هذه الصورة البائسة للأديب بقصته الثانية التي يرسم فيها نهاية بطله "إبراهيم" في قصته "الكفاح الأخير"(5) حيث جعله ينهزم أمام المجتمع المادي ويشتغل كناساً في فندق!.

إن عبقرية حوحو تتجلى في نتائج هذه الرؤية التي تؤكد حدسه ولم يمض بعد على استشرافه سوى نصف المسافة الزمنية أي سعبين عاماً فقط فكيف إذا أكملنا، النصف الثاني ماذا سيغدو الأدب ويغدو الأدباء؟!

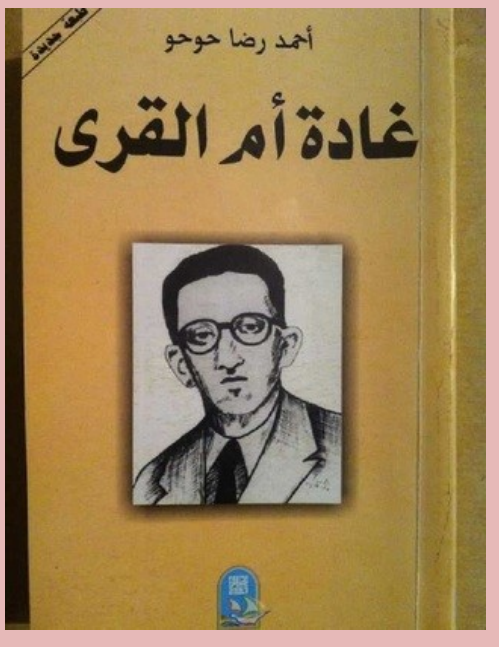

إن هذه الفكرة لم تلق القبول المطلق على كل حال قد عارضها وبشدة قاص آخر يكتب في المجلة نفسها هو "محمد عالم الأفغاني" وذهب إلى أن الأدب والعلم جناحان يحلقان بالإنسان إلى القمر في قصته "طائران إلى القمر" ورحبت المجلة بهذا السجال الجميل واعتبرت أن المناظرة بين الأديبين في قضية إفلاس الأديب ستثري المجلة بمزيد من الأفكار النافعة لتطور المجتمع. لا شك أن المفكر الذي يقدح ذهنه برؤى استشرافية كهذه جدير به الدعوة إلى تجاوز معوقات النهوض وكشف أوضار المجتمع وقيادة أهله ومواطنيه إلى زمن قادم آخر أكثر تحررا من عبودية العادات والتقاليد الموروثة، وهيمنة الجهل، وسيادة الخرافة والشعوذة، وهذا ما يمكن أن ندون من خلاله فكر حوحو الطليعي وتنوره المبكر وتجاوزه محيطه المجتمعي الضيق سواء في الحجاز أو في الجزائر إلى فضاء ثقافة إنسانية عالمية رحبة متسامحة ومحبة ومحفزة على الحياة النابضة بالمعنى ذي القيمة العلامية.

ولعل الدافع الجهادي هو ما حثه على الالتحاق بجمعية العلماء المسلمين الجزائريين بعد عودته من الحجاز، وفي حالة الدفاع عن الوطن تلتقي الأفكار وتقارب الرؤى لأن الهدف واحد والمصير واحد أيضا.

غادة أم القرى: التقاليد = الموت

قبل أن نقف على تكوين رواية حوحو الوحيدة المبكرة وربما هي الرواية الأولى في شبه الجزيرة العربية، وفي الجزائر أيضاً لا بد من الإشارة إلى أن يأس الكاتب من تجاوز سيادة التقاليد الاجتماعية الموروثة قد أخضع بطلته زكية وبطله جميل للمصير الذي يتفق كنتيجة مع هذه الهيمنة وهو الموت والفقدات كاحتجاج صارخ وكصوت إنساني مؤلم يسعى من خلال هذه المصاير السوداء إلى استنطاق الواقع المصاب بخلل فادح في بنيته الفكرية والأخلاقية وإعادة بنائه من جديد وفق تصور قيمتي: الفضيلة والتقدم في خطين متجاورين. لقد نشر أحمد سباعي روايتين الأولى "فكرة" داخل الجزيرة العربية عام 1367هـ في الوقت الذي نشر فيه حوحو روايتين خارج الجزيرة في تونس، بعد أن أعيته الحيلة وعجز عن نشرها في الداخل، فقد أبى عبدالقدوس الأنصاري صاحب المنهل نشرها منجمة كما فعل في وقت سابق بقصته "ابن البحيرة" عام 1357هـ.

بعد لم يتجاوز أربعة وأربعين عاماً من عمره الغني الزاخر بالكفاح والإبداع والمغامرة.لقد خشي الأنصاري من غضب العامة كما خشي ذلك صحفيو الجزائر فذهب حوحو بعيداً باحثاً عن دار نشر خارج بيئتي الحجاز والجزائر في السنة التي انتقل منها إلى بلده بعد صبر خمس سنوات من كتابتها وصمتها بين أوراقه،وقد أشار إلى هذا الدكتور عبدالله ركيبي مساوياً في التذكر والسخط بين البيئتين. وبموازنة الشخصيتين الرئسيتين في "فكره" للسباعي و"غادة أم القرى" لحوحو نجد القوة والصمود والتفاؤل والحجة والصلابة والتحدي عند بطلة السباعي والضعف والاستسلام وعدم المقدرة على تحمل الصدمة عند بطلة حوحو. ربما لأن الكاتبين ينزعان من رؤيتين مختلفتين، فقد كان أحمد سباعي متوثباً مواجهاً حاملاً راية الإصلاح بعنف غير مجامل ولا وجل، وهو ابن البيئة سيغالبها وتغالبه، أما حوحو فلا يمكن أن نتناسى أنه لم يوطن نفسه بأنه ابن هذه البيئة فهو يداريها ويجاريها ويخشى غضب أهلها ويلامس ما يعتقد أنه يوجعهم برفق وبإشارات ذكية وبعبارات ترضيه ولا تغضبهم، يكشف من خلالها فكره ويؤكد أيضاً على ما يجمعه مع الحجازيين من قيم المحافظة على الدين.

ملخص الرواية

في رواية "غادة أم القرى" لأحمد رضا حوحو تتجلى شخصية المرأة المضطهدة متمثلة في الفتاة "زكية" بطلة الرواية، وفي أم جميل التي تقطعت بها الأسباب، فضعفت حيلتها، ولم تجد مخرجاً لانقاذ ابنها من غياهب السجن، ومن التهمة التي ألحقت به، ذلك أن قصة حب عاصفة نشأت بين "زكية" و"جميل" وهما من أبناء مكة المكرمة، فلا تتمكن من الزواج به، بسبب غلبة التقاليد أولاً، ووشاية "رؤوف سعد" لطمعه فيها لابنه، وهو رجل خبيث ذو جاه ومال، فألحق تهمة السكر والاعتداء بجميل، وأشهد على فعلته شاهدين من أتباعه، شهدا زوراً، فأصيبت "زكية" بصدمة عصبية عنيفة أدت بها إلى الجنون.. ثم ماتت على إثر ذلك ومات جميل جزعاً في سجنه.

والرواية تتعمد إثارة التساؤل حول سيطرة التقاليد وغلبتها، فلا تتمكن الفتاة من رؤية خطيبها، ولا محادثته، ولا الرد على الرجال إلا تصفيقاً باليد - على عادة أهل البلاد وكما يذكر الكاتب، وإعلان حبها، أو ذكر اسم حبيبها، ثم الإشارة إلى إقبال عامة الناس على السحر والشعوذة بحثاً عن العلاج حين ادلهمت الخطوب على زكية وأصيبت بالانهيار فذهب أهلها ومن حولها إلى أنها اصيبت بمس من الجان" وأصبحت لا تشتكي من شيء بقدر ماتشتكي من هذه العقاقير والرقي والتعاويذ والبخور التي يرهقونها بها، فمنذ أصيبت زكية أصبحت دار سليمان خليل ميداناً واسعاً للدجالين والسحرة، ضمن قائل: إنها مسحورة، ومن مؤكد أن ما بها هو مس جن، ولم تجد التمائم العديدة ولا الذبائح الكثيرة لولائم الجن وملوكهم، وماذا عسى أن يفعل ملك الجن الضعيف أمام سلطان الحب الجبار".

ولكن البطلة "زكية" لا تنجو من توترها النفسي الذي وقعت فيه وأدى بها إلى شيء قاس من الخيال - كما أشار الكاتب - بل إنها تهلك بمعضلتها تلك، ولا تنجو كما تعودنا في الروايات السابقة حين يأتي البطل الحبيب المختفي فينقذ الحبيبة المأزومة، وتنفرج الأحداث بنهاية سعيدة، كما حدث في رواية "سمراء الحجازية" لعبد السلام هاشم حافظ، حين رأي الأهل ضرورة زواج سمراء بعادل انقاذاً لها، أو زواج زكية بمحسن في رواية "لا تقل وداعاً" لسيف الدين عاشور.. فلماذا لم يجعل حوحو من البطل (جميل) الذي لم يأخذ بعداً عميقاً في الرواية منقذاً؟ ولماذا تأتي النهايات في مجملها لشخصيات الرواية غير سارة، فيسجن البطل طويلاً ولا يخرج إلا على خبر وفاة حبيبته؟! وهي وإن انتصرت للخير وألقت برؤوف سعد في السجن في الصفحة الأخيرة من الرواية إلا أن مشهد الظلم والخيبة وعدم نوال الحظ وإسعاده وسيادة المكر والخبث والخديعة جعل الرواية أبعد عن التفاؤل، وأقرب إلى تصوير المجتمع المكي الذي تحدثت عنه بأنه مكبل بقسوة المرابي رؤوف سعد ومكره، وقسوة التقاليد وتجبرها على قلب الفتاة اليانعة التي لم تنل حظاً من التعليم، واستسلام "لمصيرها المقيد بحكم المجتمع وشهوته للمال وانصياعه إلى ما توحي به العادة، وربما جاءت سلبيتها هذه من جهلها وعدم تعلمها، وبراءتها الشديدة، وفشلها في المشاركة الاجتماعية، والإسهام مع أسرتها بالرأي في قضاياهم بعامة، وقد تكون حالة الهستريا التي أصابتها بعد فجيعتها في جميل بعد أن اطمأنت إلى قرب الاقتران به تعبيراً نفسياً وحيداً عن الرفض، رفض انصياع المجتمع وتقبله للموروث من العادات دون تفكير أو تعليل أو دراسة، ورفض ما هي عليه من جهل وإظلام وبعد عن القراءة والكتابة والتعبير عن رأيها ورؤيتها حول ما يمس شخصيتها على الأخص من قرارات تتخذها أسرتها دون أن تنبس ببنت شفة، فكانت المظاهر العصبية وفقدان العقل خير ما يعبر عن كل هذه السوءات والتردي، وبما أن العالم من حولها ليس عاقلاً، فلماذا تحتفظ بعقلها دون أن يحترمه ويفيد منه من حوله؟ فالأولى والأمر كذلك أن يذهب هذا العقل المقيد مع العقل الاجتماعي المكبل هو الآخر بأغلال متعددة من الضغينة والتسلط والمكر والشره والخنوع للسائد من التقاليد. وإذا كنا نلوم حوحو على ضعف

بطلته أمام بطلة فكرة للسباعي فإننا أيضاً نعاتبه على إسرافه في تصوير البيئة الحجازية بالسوء المطلق، سوى ما بدا من إنقاذ لأسرة سليمان خليل من الملك عبد العزيز آل سعود - رحمه الله - حين اشتكت إليه أم جميل في وسط الطريق وأوقفت مسيره، والكاتب هنا يصف مشهداً رآه في الواقع مرات عديدة. ونلتمس له عذراً في غايته الشريفة التي يرمي إليها بانزاله أكبر قدر من الألم في نفوس قارئيه حين يطوق الظلم جوانب الحياة، وتطبق المأساة على الشخصيات على خلاف ابن مكة حمزة بوقري في "سقيفة الصفا" الذي كان معتدلاً في أحكامه مصوراً واقع الحياة في مكة كما كان بين سيادتي الجهل والشعودة في شخصيته الأم والوعي في حده الأدنى عند الأب، وكذلك الأمر عند حامد دمنهوري ابن مكة أيضاً في "ثمن التضحية" في شخصية الأم الجاهلة، والابنة التي لم ترض طموح الابن أحمد فيعرض عن ابنة عمه "فاطمة" لجهلها ويتعلق ب "فايزة" المصرية لتعلمها. وبموازنة يسيرة بين الصورة التي رسمها حوحو للحياة الاجتماعية في مكة والصورة التي رسمها حمزة بوقري نجد الفارق بين الصورتين في حرارة المعالجة الفنية المدفوعة بالغرض الإصلاحي الحاد عند الأول، وبالتمكن من أدوات فن "الرواية" أي الرواية السيرية أو السيرة الروائية عند الثاني ساعياً إلى التوفيق والوصف والتدوين أكثر من سعيه إلى إصلاح خلل اجتماعي ملح وظاهر. وليس بين الصورتين سوى سنوات معدودة، فقد جرت أحداث رواية "سقيفه" بعد أحداث "غادة أم القرى" بما يقرب من خمسة شر عاماً، إذ صور أحمد رضا حوحو نمطية الحياة الاجتماعية في مكة قرب منتصف القرن الرابع عشر الهجري الماضي، وحمل على رؤية المجتمع للمرأة آنذاك، تلك الرؤية التي تذهب إلى عزل المرأة، ومصادرة خيالاتها الحياتية بعامة، ثم عرض لفساد الطبائع، وخضوع النفوس لشهوة المال، واستذلال الفقير، على حين لم يذهب البوقري بعيداً في روايته، فقد توسع في نقل دقائق الحياة الاجتماعية في مكة، وقدم لنا وصفاً بارعاً للمأكل والمشرب، والتعليم، والعمل، والمعتقدات، والتدين، والخرافة، والرغبة في التمدين، والخطوبة، وتعليم المرأة، والفصل الحاد بين الجنسين، بحيث تكون "سقيفة الصفا" امتداداً متوسعاً متعمقاً في تتبع أيقاع الحياة الملكية في العقدين الخامس والسادس من القرن الهجري الماضي، ولم يحدث اختلاف كبير بين صورتي المرأة في الروايتين، فهي فيهما صامتة لا تنطق بل تصفق عند حوحو، وتومىء برأسها عند البوقري، وهي لا تشارك بل تسمع، ولاتبدي رأياً بل تتلقى، أو ترغم على قبول خيار الأهل، ولا تبادر ولكن تتمنى وتطمح، ومن حولها يقودها إلى ما يراد لها دون أن تبدي قبولاً مطلقاص أو رفضاً بيناً، لأنها ملسلوبة الإرادة، منشأة على ذلك، ولم تتعلم بعد كيف تسعى إلى إبداء رؤيتها حول ما يحيط بها أو تطمح إليه، بله أن تحاول تمزيق ما يكبلها من رؤى تقليدية مستلبة.

موقف حوحو من الرؤية

حين شكا القاصون من هيمنة التقاليد التي تحجب الرجل عن رؤية مخطوبته لم يستطيعوا إذاعة تفاصيل شكواهم، بل كانوا يخاطبون مجتمعهم على وجل، مثلما كان الشأن في قضية تعليم المرأة، وكتابتها، وعملها، وأنواع المعارف التي يسمح لها بتلقيها ودرسها، فكان عرض قضية الرؤية استحياء، كما فعل أحمد رضا حوحو في روايته "غادة أم القرى"(9) في وقت مبكر من تاريخ شبه الجزيرة؛ حيث كتبها في مطلع الستينيات الهجرية من القرن الماضي، ولكنه كان يعني بأحداثها الأربعينات من القرن الماضي - كما يوحي بذلك زمن السرد - ثم تطور الأمر ورأى القاصون أن المواجهة ستطول مع التقاليد فاحتد الخطاب القصصي، وتماس القاصون مع التخوم الممكنة للحوار مع السائد المقلد، وانبروا في دأب لإظهار فداحة الاتباع، وإبانة شطط الدفع بالمرأة أو الرجل في شراكة غير واضحة ولا مفهومة، ولا علم لطرفيها بما تنطوي عليه من خفايا وأسرار.

إن "زكية" بطلة الرواية لا تستطيع رفع صوتها لإجابة الطارق، فكيف لها أن تراه، أو أن يراها؛ لقد تسللت نظراتها إليه من خلال خصاص النافذة الخشبية، وحين طرق "جميل" الباب لم يسمع كلاماً يفيد بالنفي أو الإيجاب، بل سمع تصفيق يدين ناعمتين؛ فلا هو بمستطيع الحديث ولا هي كذلك، و"شعرت الفتاة بوطأة الحجاب لأول مرة وأحست بعبء التقاليد ولا سيما على الفتيات"(10).

وتتذكر سنوات الطفولة اليانعة الغضة التي كانت تجمعها بجميل وغيره من الفتيان والفتيات في اللعب في فناء الدار، ثم حين نهرها أبوها بعد ذلك بسنوات لئلا تظهر أمام "جميل" ثم تم حجزها بين جدران الدار تلقنها أمها علوم الخياطة، والتطريز "أما القراءة والكتابة فلا تزالان سراً غامضاً بالنسبة إليها"(11) وجميل ليس غريباً على "زكية" فهو ابن خالتها وتنوي أسرتها قبوله زوجاً ل"زكية"؛ وحين تمت الخطوبة بعد رفض ابن الشيخ أسعد لم تتم الرؤية بين الخطيبين، وربما كان لتطور أحداث الرواية أثر في عدم حدوث ذلك على أن كاتب الرواية "حوحو" جزائري الأصل، ولا تخلو ثقافته من آثار فرنسية(12) أوقدت فيه الثورة على التقاليد، فذكر قسوة المجتمع على الفتاة حين تحب ".. ويا ويل الشقية منهن التي يطأ قلبها الحب فإنها تعيش معذبة تعيسة.. فالحب جريمة لا تغفر، وفضيحة شنيعة"(13)، وأن الفتاة لا يحسن بها أن تصرح برغبتها في الزواج(14)، وألا ترفض من اختاره لها أبوها(15)، وأن أبويها لم يتعلما، ولم يدر في خلدهما إتاحة الفرصة لا بنتهما في نيل قسط من التعليم.

وقد يكون لمرجعيته الثقافية الفرنسية تأثير في انفعاله الشديد بالواقع الاجتماعي الذي كانت أحكامه عليه قاسية، وهي قسوة محمودة حين تجيء من ابن البيئة المخلص في انتمائه لها، ولكنها تثير شيئاً من الشك والريبة حين تندفع من كاتب له انتماءاته الثقافية والبيئية المختلفة؛ بحيث أوشكت المعاني أن تختلط علينا، في سياق قراءتنا هذا النص الروائي القصير، بين المفهوم الديني النقي الذي تجب المحافظة عليه والذب عنه كمعاني الستر والحشمة وعدم الخلوة بالمرأة دون محرم، والمفاهيم التقليدية التي لا تستند على نص ديني صحيح موثق؛ مما ضربنا له أمثلة عديدة في هذه الرواية، وذهبنا إلى إظهار التأييد له في الدعوة إلى التخفف من هيمنة التقليد، وتأكيد الدعوة إلى منح المرأة حقها في الحياة وفق ما توحي به أصول التشريع.

إن البطلة هنا كما صورها الكاتب - مغلولة الكلمة، خفيضة الصوت، لا رأي لها في ما يدور حولها بشأنها، تسير في ركاب أبويها دون ممانعة، ودون إبداء رؤيتها - إن كانت تملك رؤية خاصة - في قضية الزواج؛ وهي حين أحست أنها مهددة بفقد خطيبها "جميل" عبرت عن حزنها وغضبها بفقد توازنها النفسي حتى وصلت مرحلة من الفقد الكامل للعقل؛ وهي صفة نفسية تعبيرية عن الداخل تصور فقدان المأزوم المقدرة على التعبير عن ذاته بالأدوات التي وهبها الله للإنسان (العقل والقلب واللسان)، وقد لا يمتلك الإنسان القدرة على الإفادة منها أو من بعضها، أو لا يمتلك منها ما يمكنه من التفكير السوي والشعور الناضج والإفصاح عن ذلك بأسلوبٍ جلي، ومؤثر فيرتد هذا النقص شعوراً مكبوتاً ضاغطاً، حتى إذا لم تجد وسيلة للتعبير عن حزنها أفضى بها الأمر إلى أن تفقد توازنها النفسي فتنفجر مشتظية في صورة تعبيرية عكسية مؤذية؛ إما بشعور واهم بالألم، أو بفقدان القدرة على الوعي بالأشياء؛ تلك التي نسميها ب"الهستيريا" وهي المرحلة التي وصلت إليها "زكية" كمداً وحزناً واحتجاجاً حين مات "جميل".

ولا تخلو الرواية من اعتساف للأحداث، ومن مبالغة تراجيدية في النهايات، ومن تحكم الصدفة في رسم مصاير الشخصيات، ومن تداخل غير مقبول بين الخيال الرومانسي المفرط والواقعية المباشرة التي تهبط بالعمل القصصي إلى مستوى الحدث التاريخي المجرد.

ب. الثائرة على التقاليد مطالبة بالرؤية

"البطلة" هنا سلبية غير مؤثرة في صنع الحدث، تقابلها صورة أخرى مناقضة لها تماماً؛ تلك هي الصورة التي أوحت لنا بها "فكرة" بطلة رواية السباعي، الناقدة الثائرة على التقاليد، والمصرة على التغيير، والطامحة إلى خلاص مجتمعها من عبودية العادة إلى رحابة العقل وفسحة التأمل؛ فها هي لا تخفي نقمتها على عادة عدم الرؤية عِند الزواج حين علت عن رجل من منازل الهدى ظاهر المكانة تقدم الخطبة إحدى بنات الوادي فحاز الرضى والقبول "وعن للرجل في النهاية رأي شاذ في عاداتهم، هو أن يرتحل في جماعة من بني قومه، وينزل بهم كأضياف تعلة لمشاهدة خطيبته قبل البناء بها، فاعتبروا رأيه شططاً، واقتحاماً لا مبرر له. فما كانت ابنتهم جارية تعرض في سوق النخاسة والبيع!! وليسوا من الضعة بحيث يرى الخطيب ابنتهم قبل بنائها!. فتنحو باللائمة على الاستسلام لمنطق العادة - إن كان لها منطق ولما تشرعه التقاليد - إن كان لها تشريعات - فالدين يبيح والعقل السليم ينقاد لذلك، والعرف يقول: لا، صاخبة مدوية "فنقول بقوله "لا" وننسى ديننا ونلغي عقولنا؟!".

ثم لا تتوانى عن شرح غايات الدين وأهدافه السامية، وضرورة تخليص قيم المجتمع السائدة من الأوشاب التي علقت بها نتيجة غياب الفهم السليم للنص، وتوقف العمل عن الاجتهاد، وفتور النشاط الفكري، واقتصار طلبة العلم في معظم الأحيان - آنذاك - على حفظ المتون الموروثة واستظهارها وعجز كثيرين منهم عن الإضافة والابتكار، وهي ترى أن خوف الناس من العودة إلى الأصول عائد إلى عجزهم عن مواجهة سلطة العادة وقداستها الموهومة "نحن في هذه الحياة - يا صاحبي - عبيد للعرف والتقليد، ويبيح الدين شيئاً أو يوحي به فيستنكره عرفنا، فنلوي كمن مسه خبل، ونصم آذاننا كما لو كان بها وقر. جرياً وراء العرف وتقديساً للتقليد؛ ويستقبح الدين اموراً ولا يرضى عنها، فننثني وراء التقليد والعرف كأنه لا يعنينا غيرهما!!"(ثم تنكر على الحضر أيضاً استكافهم عن السماح برؤية بناتهم حتى من النساء، لئلا تصلهم التهمة بعرض بناتهم في سوق النخاسة!

المصاير المأساوية

يعمد الكُتَّاب الرومانسيون إلى إلهاب المشاعر بوضع النهايات السوداء ختاماً للعمل القصصي لاستدرار مزيد من العطف وإحداث مزيد من الهجاء للقيم السلبية التي أوصلت الشخوص إلى هذا المستوى المؤسي من العذابات النفسية والفراق والحرمان جرياً على سنن القصص الرومانسي لكن في مبالغة وافتعال؛ إذ تسيطر المصادفة على وقوع الأحداث فترسم ما يريده الكاتب من غايات إصلاحية،

إنه لون من القصص الغرائبي الذي يغيب العقل أو جزءاً منه لعدم التفكير في كيفية اتفاق تلك المصادفات كلقاء "فكرة" ب"سالم" عند السباعي في مكة إبان الحج، ثم حدوث مصادفة تشويقية وهي اكتشاف أنهما أخوان، ومصادفة موت الحبيبين "جميل" و"زكية" في وقت واحد حين اشتدت بهما مأساة الفراق والبعد والاتهام في "غادة أم القرى" لأحمد رضا حوحو.

وذلك شأن القصة في بداياتها تقفز حاجز العقل وتسرف في رسم المصاير، وافتعال الأحداث، وتسخير الأقدار لخدمة الغاية الإصلاحية سواء كان ذلك بمزيد من الإيلام والتعذيب أو انفراج الأمور في ختام الحدث المتصاعد، أي لحظات التنوير المفرحة أو المؤسية؛ وكأننا غير بعيدين عن بدايات الرواية العربية، حين كتب جورجي زيدان روايات تاريخ الإسلام وأسرف في افتعال التشويق وحبك المواقف الدرامية المثيرة الداعية إلى الشفقة والخوف على الحبيبين في عجائبية لا تخلو من سذاجة حيناً ومن مقدرة فنية على بناء دراما الحدث القصصي أيضاً.

إن مبلغ الصدق الفني يكمن في البراعة المتفوقة في المقدرة على الإيهام، وتصديق ذلك الإيهام الذي يكونه الفنان في وجدان متلقيه بأن الأحداث والأفكار والشخصيات هي أقرب إلى الحقيقة من الخيال، وهي شيء آخر منفصل عن القاص، ولا صلة له به؛ فدوره بعيد ومخفي وغير بين؛ ومتى ما تجلى هذا الدور، وانكشفت ذات القاص وغلبت ذوات شخوصه تداعى بناء السرد، وأصبحنا نقرأ القاص نفسه في حديث عن ذاته؛ أكثر من كوننا نقرأ ذواتاً أخرى، وأحداثاً أخرى لا صلة لها بالقاص، ولا للقاص بها، وهي سمة من سمات البدايات الفنية للرواية، وتتجلى في الأعمال الأولى: مثل: البعث لمحمد علي مغربي، وفكرة لأحمد السباعي، وأمي لعبدالله عبدالجبار، وغادة أم القرى لأحمد رضا حوحو؛ والشخصيات النسائية في البعث (كيتي) و(آسيا) وفكرة للسباعي، و(الأم) عند عبدالجبار، و(زكية) عند حوحو، وهي ليست إلا أدوات ووسائل يفضي من خلالها بكثير من أفكار القاصين؛ بعد أن عجزوا عن التصوير العميق لشخصياتهم تصويراً يبعد بالمعبر عن الشخصية والفكرة، ويمنحه المقدرة على استدرار ذوات الشخوص وإجلائها، ونثر مكوناتها، وتصويرها كما هي، لا كما يريد.

ونحن نعلم أن الرواية العاطفية نص قابل للتصعيد النفسي، والتصعيد فيها يسير في اتجاه يبدو أكثر قوة ويسراً من التصعيد الفكري الذي تصدت له بطلات كثيرات.

ولذلك صادف شيئاً من النجاح الفني أولئك الذين أخلصوا الرواية للبعد العاطفي، وألهبوا الصراع بشقيه الداخلي والخارجي بمزيد من إيقاع البطلة في إشكال من الواقع؛ حتى إذا أوشك اليأس على أن يكون ختام المشهد جاءت النتائج على خلاف التوقع مفرحة مبهجة، ومن هذا صراع "زكية" عند أحمد رضا حوحو، وصراع "سمراء" عند عبدالسلام هاشم حافظ في روايته سمراء الحجازية، وصراع "زكية" عند سيف الدين عاشور في رواية لا تقل وداعاً، وصراع "شروق" عند سميرة بنت الجزيرة في بريق عينيك - مع ملاحظة اختلاف النهايات في كل هذه الصراعات، وهذا ما لم ينجح فيه السباعي؛ إذ جعل بين بطلته وبين الحب حجاباً منيعاً؛ فتعالت على عاطفتها في الرجل، وظهرت في صورة من يدعو إلى تقميئه وتخطيئه، والنفور منه، على غير طبع المرأة التواقة - في العادة - إلى العاطفة، وإلى دفء الحب وحنانه كما هي البطلة "زكية" عند حوحو في غادة أم القرى.

صحيح أن المرأة آنذاك مغيبة ليس لها حضور؛ سوى في ذلك النزر اليسير من القصص القصيرة، وكأن غياب الرواية صورة لغياب المرأة؛ فحين انعقد العزم على حضورها في الواقع بالدعوات الجادة إلى تعليمها كان رسم ملامح هذه الدعوات التنويرية في العمل الأدبي - وفي الرواية على الأخص - أدعى إلى قبول الناس ما يبشر به الأدباء والمثقفون من دعاوى الإصلاح وإنماء المجتمع.

والذي يظهر من جهد أدباء هذه المرحلة إصرارهم على مواجهة التقاليد التي تحول دون نهوض مجتمعهم، وسعيهم إلى إبانة ما يتصل بالدين من القيم السامية النبيلة التي تحث المرأة على الحشمة والبعد عن مواضع التبذل والشبه والإغراء، وذلك الذي يتصل بالتقاليد الموروثة التي ينميها الجهل، ويزيدها الخيال الشعبي شراسة وقوة، ويؤكدها انتفاع فئة تزايد على الحفاظ على المجتمع من السقوط في التحلل - كما تزعم - وهي في حقيقة الأمر تنافح عن مصالحها ومنافعها من موات الوعي، ومن غفلة العقل، ومن خطر اليقظة الدينية الواعية بما يدعو إليه الكتاب والسنّة.

فبعد أن نافحت "فكرة" عند السباعي عن شخصية المرأة النموذج؛ متكفلة بالتبصير أو الشروح والمداخلات مع الواقع الرافض يرسم حوحو صورة مناقضة تماماً للبطلة السابقة القوية القادرة على المحاجة والملاسنة؛ لأنها مستنيرة متعلمة؛ بينما يقدم "أحمد رضا حوحو" بطلته "زكية" في حالة من الضعف والاستسلام لمقولات واقعها المكي - حسب زعمه - غير قادرة على الاحتجاج عليه إلا برفضه جملة وتفصيلاً بسبيل واحد هو الهرب منه بالموت؛ فكأن موتها وموت حبيبها في وقت واحد في ختام أحداث هذه الرواية القصيرة "غادة أم القرى" إعلان بالعجز عن المواجهة، وانتصار للشر على الخير، رغبة من القاص في دفع القارئ إلى المشاركة الإنسانية لبطليه، وأن الشر حين يستطير ويبلغ حده الأقصى أقرب إلى انقشاع غمته، متفقاً هذه مع قول الشاعر:

ضاقت فلما استحكمت حلقاتها

فرجت .. وكنت أظنها لا تفرج

أو أن زيادة الإيلام ادعى إلى البحث عن حلول الإشكال كبير كذلك الذي أودى ب"زكية" مخبولة ثم ميتة؛ ولا شك أن في سياق الرواية ما يشي ببعض منهج "جورجي زيدان" ويتبين ذبلك من مسمى الرواية، ثم من إقامة بنائها الموضوعي على الغرام، ثم في النهايات البائسة، وفي تأزيم الموقف حتي يضيق على البطلة فلا يكون لها منجاة من سوء الأقدار في كل الأحوال.

ويبلغ بالقاص الإسراف في النقد فيخرج به من شفافية الخيال إلى محادثة البيئة التي تحجب عن بطلته المعرفة، وتحجب عنها حقها في المشاركة في اتخاذ قرار مصيري لاختيار زوجها "أأقف على خطوة منك ولا أستطيع أن أريك وجهي ولا أسمعك صوتي وأنا المتلهفة الولهى" ولا يرى بأساً في مهاجمة الحجاب، وفي القسوة على المحافظة دون تفريق بين ما يحسن بالمرأة بالتحلي به، أو التخلي عنه.

وهذا يدل على اضطرابه وخوفه وقلقه من حيطه، فهو بين مستسلم لأفكاره المدينية الحديثة وبين وجل ممن حوله يلاطفهم بعبارات فضفاضة تطفئ شكوكهم في أفكاره.

وخلاصة القول

لقد سعى هذا الأديب التنويري مجتهداً لإعلاء قيم إنسانية خيرة بثها في قصصه القصيرة وفي مقالاته، وإلى التبشير بمستقبل إنساني أكثر تسامحاً وعدلاً ومحبة، وأبعد عن الاستسلام لهيمنة التقاليد وسوءات موروثة دون تفكير واع في انسجامها مع ضرورات الحياة الحديثة.

وهو في هذه البيئات من حوله في حيرة من أمره وتلح عليه واجبات ملزمة؛ جهاد بالقلم، وجهاد بالجسد، وتوجه إلى الحرية والنور؛ وقد كان بالفعل شهيداً لهذه المبادئ السامية فحق له الخلود في الحجاز كما حق له الخلود في أرض المليون شهيد الجزائر، وهو بعد لم يتجاوز أربعة وأربعين عاماً من عمره الغني الزاخر بالكفاح والإبداع والمغامرة.

كاتب سعودي

وكالة القبس للنشر الرقمي

بومرداس ، الهاتف :78 _ 73 _ 20 _ 0662

النظا م الجزائري

من (1962 الى 2019)

قراءة موضوعية في أهم الأحداث

و المواقف و القرارات .

موسوعة

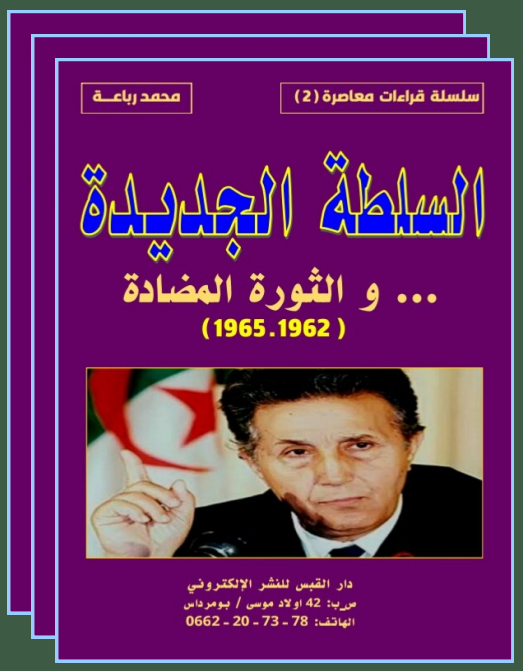

الأديب أحمد رضا حوحو
في ذاكرة مجلة المنهل السعودية

بقلم: محمد بسكر

ظلت الرحلة من أجل التحصيل المعرفي تجاه البلدان المجاورة، هي ملاذ أغلب النخب العلمية الجزائرية بداية من مطلع القرن العشرين، يدفعها لذلك انغلاق الأفق التعليمي بسبب سياسة التجهيل التي فرضها الاستعمار الفرنسي، منذ أن دنّس بجحافله هذه الأرض الطيّبة، وكان جامع الزيتونة والمدرسة الخلدونية هما مركزا استقطاب لجلّ الطلبة الوافدين، ولم تكن وجهتهم إلى المشرق وخاصّة مصر والحجاز، بالكثرة العددية مقارنة بتونس، التي تخرج منها معظم علماء الجزائر وأساتذتها، كان من أولئك الأديب أحمد رضا حوحو، الذي استقر مع أسرته بالمدينة المنورة سنة 1934م، والتحق بمدرسة العلوم الشرعية حيث أكمل فيها تحصيله المعرفي، وقد رشّحته كفاءته العلمية تبوء منصب مدرس بالمدرسة التي تخرج منها سنة 1938م، إذ انتسب إليها ليكون أحد أساتذتها، وهو تعيين صادف محلّه، كما وصفته مجلة المنهل "السنة الثالثة 1938م". أحدث التحاقه بمدرسة العلوم الشرعية، وانخراطه في سلك التعليم مع نخبة الشيوخ الذين أخذ عنهم، منعطفا هاما في حياته الثقافية، بل كان بمثابة الفتيل الذي أشعل طاقة علمية هامدة في نفسه، كانت تترصّد لاقطة تدفعها للبروز، فجادت قريحته ـــ مدة إقامته بالحجاز ـ بعشرات الأعمال الأدبية القيّمة.

ظلّ أحمد رضا حوحو، يُكنُّ لهذه المؤسسة التي احتضنته طالبا وأستاذا - شعورا فيّاضا، وحبا دافئا، عبّر عنه في إحدى مقالاته بقوله: ((..فسأظل إذا يا مدرستي المحبوبة طول حياتي مخلصا لك، معترفا بجميلك، مشيدا بذكرك، مقرا بفضلك، شاكرا لجهودك، مقدرا لتضحية رجالك المخلصين في سبيل الدّين، وسبيل العلم وسبيل الوطن). وتزامنت حياته الدراسية بالحجاز مع ظهور مجلة المنهل السعودية بالمدينة المنورة سنة 1937م، لصاحبها ومنشئها الأستاذ عبد القدوس الأنصاري، وهي من أعتق المجلات العربية ظهورا، وأمدّها عمرا، إذ لا يزال عطاؤها موصول الأنفاس إلى يومنا هذا، فهي أمّ المجلاّت السعودية المتميّزة بأعمالها الدّينية والأدبية والثقافية، وبمواضيعها الهادفة التي اختطّ معالمها مؤسّسها في افتتاحية العدد الأول منها، فقال: ((..وإنّ من علامات حظوة المنهل بما تصبوا إليه من نجاح مطرد في سبيل أداء رسالتها الأدبية العالية، ما نراه ماثلا في الأذهان من ضرورة السموّ بهذا الأدب الحجازي، وإبرازه في حلّة قشيبة، تليق بمكانة الحجاز الدّينية ومنزلته الاجتماعية في العروبة والإسلام..). اختار الأستاذ عبد القدوس- وهو صاحب اسم رائج في الأدب السعودي- للكتابة فيها صفوة الشباب من الأدباء والكُتّاب، كان من ألمعهم الأديب أحمد رضا حوحو، انتخبه لما توسم فيهِ من حصافة عقل، وبراعة قلم، فأوكل إليه إضافة للكتابة، منصب السكرتير الأوّل للمجلة، ليحمل على كاهله - وهو في عنفوان شبابه - مسؤولية التحرير والإشراف على اختيار المواضيع.

فتحت مجلة المنهل للأستاذ أحمد رضا أفقا جديدا للإبداع الفكري، ونافذة للإنتاج الأدبي دامت عشر حجج، فكانت ((هي ميدانه الواسع للتعبير عن آرائه وأفكاره الاجتماعية)) ، فغطى فيها جانبا فكريا هاما من تاريخها، وأعطاها بعدا ثقافيا بمجموع أعماله في مجال القصة والأدب المسرحي، وخاصة الترجمة بأنواعها، الأدبية والشّخصية والشّعرية. ومجموع مقالاته التي دبج بها حياته الأدبية هي ترجمة نصوص من تراث المستشرقين، وكم كان وافر الحظّ، حين أقدم صاحب المجلة بفتح الباب علَى مصراعيه لهذه الدراسات من التراث الغربي، في بيئة قليلة الاحتكاك بالفكر الأوروبي، تنظر بعين الرّيب إلى هذا النوع من الأدب الدخيل، فكان ((يترجم للمجلة ما يروق له من روائع الأدب الغربي والفرنسي منه بالخصوص)، ويكفي أهمية لما كان يكتبه أن قام الأستاذ عبد القدوس الأنصاري بالتقديم لمقاله الأوّل، وممّا جاء في تقدمته، قوله: ((..تعميما للمعرفة ونشرا لأفنانَ الثقافة، رأينا أن نفتح هذا الباب في المجلة، وسننشر فيه ما لذّ وطاب وحسن وأفاد، من ثمار التفكير الغربي أدبا وعلما، وقد افتتحناه بترجمة فصول من كتاب الحج إلى بيت الله الحرام، لناصر الدّين دينيه الفرنسي المسلم، لما فيه من متعة أدبية وعلمية، ولما له من علاقة خاصّة بهذه البلاد، وقد عهدنا بأمر ترجمة هذه الفصول إلى أديب أخذ من اللّغة الفرنسية بحظ وافر، هو أحمد رضا حوحو)).

نشر هذه الفصول تحت عنوان " ملاحظات مستشرق مسلم على بعض آراء المِستشرقين وكتبهم عن الإسلام"، كما عرّب نصوصا ونشرها تحت عنوان " أبحاثنا في نظر الأوروبيين"، كان المستشرق الفرنسي "ز.رايخ" ترجمها من كتاب آثار المدينة المنورة، لصاحبه الأستاذ عبد القدوس الأنصاري ونشرها في مجلة العلوم الإسلامية بباريس سنة 1937م، واهتم بالتعريف ببعض الشخصيات الأدبية الغربية الشهيرة، وترجم للأديب الفرنسي "فولتير"، لما يمثله أدبه من وقفة مع الشعوب المستضعفة في وجه الطغيان والتسلّط، ووجد في شخصيته وأعماله ما يعبر به عن شعور وإحساس ظل مكتوما في صدره، وهو الشاب القادم من وطن يعاني التهميش الاجتماعي والاستبداد السياسي. وتناول بالدراسة الأديب "فيكتور هيجو"، صاحب كتاب البؤساء، الذي تأثر بكتاباته المعالجة لموضوع الفقر والفقراء، إذ كانت نفسه البائسة ـ كما قال ـ ((..تطالعني بين السطور، تقطر حيرة وألما..)) ، فوجد فيه تشخيصا لإحساس مشترك بين أديبين، أو على حدّ تعبيره، ((مزيج نفسين بائستين، تألمت احدهما منذ قرون، وتحيّرت الأخرى اليوم)) ، وقد حاكى قصة البؤساء في مقالة نشرها في العدد الثالث من جريدة البصائر سنة 1947م، تحت اسم " خواطر حائر".

لم تكن هذه الأعمال ـ التي أشرنا إليها ـ هي إنتاجه الوحيد بالحجاز، بل له أعمال أخرى آثر عدم نشرها في تلك الفترة، من بينها قصته الشهيرة "غادة أم القرى" فهي من بواكير إبداعه في المجال القصصي، كشف فيها جوانب من مأساة المرأة العربية في الحجاز، ورام من خلالها تسليط الضوء على واقع معاش، التمسه من وسط تعاني فيه المرأة التهميش الاجتماعي والثقافي، إلاّ أنّه أحجم عن نشرها أثناء إقامته في المدينة المنورة، ولم ينشرها إلاّ سنة 1947م بتونس، وأهداها إلى المرأة الجزائرية قائلا: ((..إلى تلك المخلوقة البائسة المهملة في هذا الوجود، إلى المرأة الجزائرية أقدم هذه القصة، تعزية وسلوى)، وقد أثنت جريدة البصائر (العدد 08 /1947م) على هذا العمل الأدبي الرائع، فوصفت القصّة بقولها: ((..تلك الرّواية التي تصور لنا الحياة الحجازية أدق تصوير، وتعطينا رسما واضحا عن حياة المرأة هناك)).

غير أنّ حظ الأديب حوحو مع الجرائد الحجازية عموما تعثّر، فلم تكتب الاستمرارية لهذه التجربة، فأجهضت بعد ثلاث سنوات من العطاء، ليجد نفسه أمامه عقبات حالت بينه وبين القرّاء ، لوجوده في واقع اجتماعي يتسم بالانغلاق، ولا يقبل هذا النوع من الأدب؛ لأنّه يرى فيه خروجا عن المألوف، يفضي إلى هشاشة المجتمع وتغيير بنيته، ولا نجد في الحقيقة ما يبرر منع نشر أبحاثه في مجال الأدب الغربي غير ما أشرنا إليه؛ لأنّ الأديب أحمد رضا طوى الكتاب عن هذه المرحلة من تجربته الأدبية، ولم يحك عنها بعد عودته إلى الجزائر.

أحسّ أحمد رضا بمرارة الرفض الذي قوبلت به مقالاته، فهمس به في رسالة بعثها إلى الأستاذ عبد القدوس، في يوليو من سنة 1939م، جاء فيها:((..يؤسفني جدا لغلق الصحافة الحجازية أبوابها في وجه أبحاثي في الأدب الفرنسي، ولا أدري كيف يكون موقف المنهل في هذا الشأن؟ وهل ستحرم حقيقة من كل الآداب الأجنبية ؟)كانت مجلة المنهل فاتحة العطاء الأدبي والفكري للأديب أحمد رضا حوحو، أمدّته بنفس طويل، وفتحت له أملا بعيدا، فأعطاها عصارة أعمالِه، وترك على صفحاتها الأثر الطّيب، وأهّله إنتاجه الوفير وخاصّة في الأدب المسرحي، لأسبقية الرّيادة في الحجاز، ففي دراسة إحصائية أجرتها مجلة المنهل تحت عنوان" المنهل خلال خمسين عاما" في عددها الممتاز سنة 1984م، استعملت فيها الكشف الإحصائي والتحليلي لموضوعاتها، جاءت مقالاته حول (الاستشراق والمستشرقين) ثالث موضوع يميّزها، بعد علم الاجتماع ودراسة العادات والتقاليد والآداب.

أحمد رضا حوحو في الصحافة التونسية

د / مولود عويمر

لم أجد فيما وصلني من بحوث ودراسات حول الأديب الشهيد أحمد رضا حوحو ما يشير إلى أنه نشر مقالات في الصحافة التونسية. ولم اقتنع بما قرأت. وتساءلت مرارا في قرارة نفسي: كيف لهذا القلم السيال الذي كتب في مجلة "المنهل" السعودية ومجلة "الرابطة العربية" المصرية وجريدة "البصائر" الجزائرية وجريدة "الشعلة" القسنطينية ألا يكتب في الجرائد التونسية المجاورة التي كانت تعج آنذاك بأسماء جزائرية لامعة وأخرى واعدة؟

كتاباته في الصحافة التونسية

وكم كانت فرحتي كبيرة حينما عثرت خلال رحلة علمية على ثلاثة مقالات لأحمد رضا حوحو منشورة في جرائد تونسية. ولا شك أن عددها أكثر من ذلك، وهي تحتاج إلى من ينفض عنها الغبار.

نشر الأستاذ أحمد رضا حوحو المقالة الأولى في عام 1946 في مجلة "الثريا" لصاحبها نور الدين بن محمود. وهو مثقف تونسي معروف تربطه علاقة قوية بالجزائر التي زارها، وكتب عنها في جريدته "الأسبوع".

كما أن له أيضا صلة متينة بالمثقفين الجزائريين خاصة الذين ساهموا كثيرا في هذه الجريدة أمثال: مفدي زكريا، حمزة بوكوشة، علي مرحوم، محمد صالح رمضان، عبد الرحمان شيبان، محمد الأخضر السائحي، إسماعيل العربي، الحبيب بناسي، أبو القاسم سعد الله...الخ.

وتعتبر مجلة "الثريا" من أرقى المجلات التي كانت تصدر في العالم العربي آنذاك. وكانت تشبه في شكلها مجلة "الفتح" لصاحبها محب الدين الخطيب أو مجلة "الرسالة" لأحمد حسن الزيات.

وكانت النخبة التونسية تتنافس على النشر في "الثريا" مقالات أكثر رصانة وجدية مما تعوّدت على نشره في الصحف اليومية أو الأسبوعية خاصة في مجال البحث التاريخي والإنتاج الأدبي. وكان من أبرز أقلامها: محمد الفاضل بن عاشور وعثمان الكعاك ومحمد صالح المهيدي...الخ

كما اشتهرت في الأربعينيات مجلة تونسية أخرى، وهي "المباحث" التي كان يشرف عليها محمود المسعدي. (الجابري، نشاط...، ص 325). وتواصل معها العديد من المثقفين الجزائريين، وكتبوا في صفحاتها أمثال: عمر راسم ومصطفى الأشرف وعبد الله شريط...الخ.

نشر حوحو مقاله المعنون " الأدب الحيّ.. بين أدب القصة وأدب المقالة" في العدد الثاني عشر الصادر في عام 1946 في صفحة واحدة ونصف (24-25). والجدير بالذكر أن هذا المقال هو اختصار لمقال طويل سبق له أن نشره في مجلة "المنهل" السعودية في سنة 1939، ثم حيّنه بإضافة أفكار جديدة، كالمفاضلة بين الأديبين توفيق الحكيم ومحمود تيمور سنعود لها لاحقا.

بعد مقدمة تاريخية عن القصة التي ظهرت في نظره مع الأدب الروماني واليوناني، عالج حوحو أسباب انتشار الرواية المسرحية بالنسبة إلى غيرها من أنواع القصص. وقد لخصها في سببين أساسيين، وهما: قلة القراء وانتشار الأمية من جهة، والعامل النفسي المتمثل في ميل الإنسان إلى تصوير المشاهد وبساطة اللغة وسهولة التعابير من جهة أخرى. ثم عرج على المقالة وبيّن قلة قرائها ومحدودية تأثيرها.

وقال حوحو في هذا الشأن: " ومهما يكن من أمر فإن أدب القصة أهم من أدب المقالة وأكثر قراء وأعظم نفعا وأشد تأثيرا واصدق تصويرا منه." ثم يدعو إلى الكتابة في القصص الشعري عوضا من نظم للقصيدة.

وتناول أيضا تطوّر القصة في العالم العربي متوقفا عند اسمين لامعين مختلفين، الأول هو توفيق الحكيم الذي يعتبره صاحب نزعة عالمية يتناول في قصته الإنسان بغض النظر عن انتماءاته.

أما الثاني فهو محمود تيمور ذو نزعة إقليمية ضرفة والذي لا يكتب إلا عن عالمه المحدود. وهذا الانحياز إلى الكاتب الأول يتجلى بعد ذلك في كتابات حوحو وخاصة في كتابه "مع حمار الحكيم".

ودعا الأستاذ أحمد رضا حوحو في الأخير الكتاب الجزائريين إلى الاهتمام بالقصة والاعتناء بالمسرح في الجزائر.

وقد امتثل هو شخصيا لهذه الدعوة لما أسس جمعية مسرحية موسيقية في 27 أكتوبر 1949 باسم "المزهر القسنطيني"، والتي قدمت عروضا مسرحية ناجحة في الجزائر وخارجها.

وقد درس هذا الجانب بشيء من التفصيل الدكتور أحمد منور في كتابه النفيس: "مسرح الفرجة والنضال في الجزائر"، والباحثة نجية طهاري في رسالتها الجامعية: "بناء الشخصية في مسرح أحمد رضا حوحو."

وكتب حوحو مقاله الثاني في جريدة "الأسبوع" في نهاية شهر أوت 1948 عنوانه: "جمعية العلماء في مرحلتها الثانية أو بين الهدم والبناء". وتوقف الكاتب عند أهم محطات هذه الجمعية الإصلاحية مبرزا ما تعرضت له من مضايقات وما عانته من معوّقات في طريق التبصير والتنوير.

وقد حرص الأستاذ حوحو على الكتابة عن هذه الجمعية الجزائرية في جريدة تونسية معروفة لإحياء ذكراها بعد أن فرضت عليها أحداث الحرب العالمية الثانية وما ترتب عليها من تداعيات سياسية واجتماعية على الركود وتقليص نشاطها الإصلاحي. ولم تستأنف نشاطها بشكل واسع إلا في عام 1947. فكأن حوحو يعلن عبر مقاله عن ميلادها الجديد.

إنه اعتراف بالجميل للجمعية التي احتضنته بعد عودته من الحجاز في عام 1946، فعيّنته مديرا لبعض مدارسها في قسنطينة وشلغوم العيد، ثم عيّنته كاتبا عاما لمعهد عبد الحميد بن باديس، و نشرت كذلك مقالاته في جريدتها الرسمية: "البصائر".

ونتساءل هنا لماذا لم تعد نشره جريدة "البصائر" التي استأنفت صدورها مجددا في جويلية 1947 برئاسة الشيخ محمد البشير الإبراهيمي؟

وواصل أحمد رضا حوحو تعاونه مع جريدة "الأسبوع"، فنشر في أكتوبر ونوفمبر 1953 مقالا طويلا في خمس حلقات قدم من خلالها قراءة نقدية لكتاب "الشابي حياته شعره" لصاحبه أبي القاسم كرو. ولقي التقريظ حظا كبيرا عند المؤلف الذي سيحتفظ بهذه الذكرى، وينشر كتاب "نماذج بشرية" لحوحو في عام 1955 في إطار سلسلة "كتاب البعث" التي كان يشرف عليها هذا الكاتب التونسي.

كما نشر بعده المثقف الجزائري الحبيب بناسي مقالا في العدد الخاص الذي أصدرته الجريدة نفسها عبّر من خلاله عن نظرته في فلسفة هذا الشاعر التونسي الشهير، وشبّهه بأبي العلاء المعري ونيتشة ذلك لأنه " رفع لواء التفكير والحرية في التعبير والاستقلال في الرأي."

وبقي الشابي محل إعجاب كتاب الجزائر وموضع تقديرهم، ومصدر إلهام لشعرائها، فقد كان له الفضل في رفع الشعر التونسي إلى مستوى العالمية. (الشيخ الجفناوي هالي، البصائر، العدد 311، 25 مارس 1955، ص 6).

كتابات عن حوحو في الصحافة التونسية

لا شك أن نشاط الأستاذ حوحو الأدبي والصحفي والمسرحي قد تجاوز حدود الجزائر، خاصة وأن بعض كتبه الشهيرة صدرت في المطابع التونسية مثل "غادة أم القرى" التي طبعت في عام 1947 بمطبعة التليلي، وكذلك آخر أعماله المطبوعة في حياته، وهو كتاب "نماذج بشرية" الصادر في عام 1955. (البصائر، العدد 343، 2 ديسمبر 1955، ص 2).

وقد نال هذا الكتاب قبولا حسنا لدى القراء والنقاد، ودفع الباحثين إلى تتويج مؤلفه رائدا للقصة القصيرة العربية في الجزائر؛ ذلك أنه كان سباقا إلى " فهم دورها في التأثير على المجتمع بعيدا عن التعبير الأجوف والتصنع".

وأضيف كذلك إلى هذا الرصيد الأدبي، مقالاته الرائعة التي كان ينشرها في "البصائر"، وتصل أصداؤها إلى تونس عن طريق المبادلات بين الجرائد الجزائرية التونسية، وتوزيع الطلبة الجزائريين الزيتونيين لهذه الجريدة الإصلاحية، والعمل الترويجي الذي كان يقوم به متجوّل البصائر في القطر التونسي.

ولاشك أن التونسيين تعرفوا أيضا على روائع الأستاذ حوحو، وأدركوا الظروف الصعبة التي كان يبدع فيها في مجال الأدب والمسرح وهم يطالعون مقالة الشيخ عبد الرحمان شيبان في جريدة "الصباح" التي زيّنت بها صفحاتها في ثلاثة أعداد متتالية.

لقد استطاع الشيخ شيبان الذي عرف الأستاذ حوحو عن قرب، وعاشا معا في رحاب معهد عبد الحميد بن باديس بقسنطينة، وتعاونا في مجال الصحافة وعالم الثقافة، أن يرسم صورة كاملة ومشرقة عن صديقه، ويكشف للقارئ التونسي جوانب مجهولة في حياة كاتب "مع حمار الحكيم"، ويكشف عن ظروف اعتقاله من طرف جيش الاحتلال الفرنسي ثم اغتياله في نهاية مارس 1956 بطريقة شنيعة.

وتكتمل ملامح هذه الصورة المشرقة لأديبنا الشهيد بقراءة كتابات الباحثين التونسيين حول تراث الأستاذ أحمد رضا حوحو. وهو موضوع جدير بالدراسة في مقالات أخرى بحول الله.

د/ مولود عويمر

شـــاهـــد عيان

ليلة استشهاد أحمد رضا حوحو

بقلم: حمو أمداح بالقاضي

تبنى الأديب الثائر النهج الباديسي في حمل هموم الثورة التحريرية بإذكاء الضمير الجمعي و بمحاربة الطرقية و الدجل و بالتحفيز العلمي.. و آمن أن تحرير العقول كفيل بتحرير الرقع الجغرافية..فشحذ سلاحه الفكري و السياسي لذلك ..و قد كانت تعقد اجتماعات سرية بين المشايخ و بيننا نحن طلبة معهد بن باديس، بالمساجد و ببعض المقاهي الآمنة مثل مقهى شهرزاد القريب من منزل الشيخ أحمد رضا حوحو، لأجل تكليفنا نحن الطلبة بالتوعية و توزيع المناشير بين أوساط الشعب و الشباب بالمدينة..

لم يفت هذا المستدمر؛ الذي كان ينشر عيونه بكل مكان و تحسس خطر الطلبة و خطر مشايخهم و ركز على أراء الشيخ رضا حوحو المستفزة.. فتم وسمه بتهمة التحريض و تخوفوا من كلمته النضالية أن تكون مدعاة لأية عملية فدائية .. و كما ذكر صديقه أحمد حماني، ، لقد أصبح أحمد رضا حوحو مراقبا ينتظر الزخ به إلى السجون في كل لحظة.

و بيوم 29 مارس من سنة 1956؛ سمع تفجير مدوي على الساعة 12 ظهرا.. بمنطقة رحبة الصوف بقسنطينة من طرف المقاومة السرية.. راح ضحيتها المفوض الإستدماري، محافظ شرطة المنطقة..و أثناءها كنت و رفيق الدراسة و النضال عبد المجيد الوزناجي قريبين من مكان تنفيذ العملية.. و لم تمر لحظات حتى اكتسحت سماء المدينة أبخرة سوداء جراء القنابل التي كانت تلقى جزافا ؛ وسط هلع المواطنين الراكضين دون وجهة معينة ...و نحن معهم...و ارتفعت أصوات الصراخ مختلطة بأزيز الرصاص و حشرجة محركات الشاحنات العسكرية المدججة.. ليقتحم لفيف من الجيش الاستدماري المتاجر و المحلات...متلفا كل ما بها من ذخيرة. والبعض الآخر نحو المنازل.. ليروع ساكنيها من النساء و الأطفال العزل الذين اتجهوا إلى المساجد إحتماء بها... إلا أن لفيف آخر من العساكر راح يتسلق بوحشية جدران المساجد لتلوث جزمهم الضخمة حرم بيوت الله، مقتادين كل من اشتبه فيه إلى المحتشدات....و استمر الحال على هذا المنوال.. لمدة مداها سبع ساعات ..و بالساعة السادسة تم التوجه إلى منزل الشيخ أحمد رضا حوحو؛ ليقتاد مكبلا إلى سجن الكدية؛ أينما أذيق أبشع أصناف التعذيب.. ثم تم ترحيله إلى أعالي مدينة قسنطينة؛ بجبل الوحش لينفذ فيه حكم الإعدام مع باقي المشتبه فيهم. ..رحمهم الله جميعا ..

بصبيحة اليوم التالي و بعد ليلة مروعة قضيناها بأروقة الجامع الكبير مع الأهالي....أستيقضنا على تعليمات جديدة من طرف المستدمر الفرنسي؛ تقضي بغلق معهد بن باديس و إيقاف التدريس بالجامع الكبير و الجامع الأخضر و كافة مساجد جمعية العلماء المسلمين؛ لما تشكله من خطر على كيانهم.. تفرق على إثر ذلك، طلبة معهد بن باديس؛ ليجند الكثير منهم بجيش التحرير الوطني و ليلتحق البعض الآخر بفرق المسبلين و الفدائيين.. الذين حولوا منازلهم إلى معاقل ثورية ..الكثير منهم استشهد رحمة الله عليهم.. ومن كتبت له الحياة بعد الإستقلال ظل امتدادا لمنهج جمعية العلماء المسلمين في الخط الاصلاحي و التربوي بالوطن..

حمو أمداح بالقاضي /(رحمه الله)

الأديب أحمد رضا حوحو

بقلم: بسام العسلي

على أثر إعدام المفوض الاستعماري (سانمار سيللي) في قسنطينة من قبل مجاهدي المقاومة السرية يوم 29 آذار - مارس - 1956 قامت القوات الفرنسية بحملة إرهابية عنيفة، اعتقلت خلالها وجهاء مدينة قسنطينة، ومن بينهم الأديب (أحمد رضا حوحو). وقد سيق هؤلاء الوجهاء إلى سجن (الكدية) ولكن المدير المسؤول عن السجن رفض استقبالهم بحجة أنه لا يوجد متسع لأي شخص في السجن. فقادهم الجنود إلى (الخروب) على بعد 10كلم من مدينة قسنطينة، وفي الطريق أطلق الحرس عليهم النار من الخلف، وصرعوهم (1) تلك بإيجاز الخاتمة المأساة لمجاهد طالما عرفه رواد معهد ابن باديس وطلبته، وأنسوا فيه خلقه القويم، وجرأته في مقارعة الاستعمار

ولد أحمد رضا حوحو ببلدة (سيدي عقبة) إحدى ضواحي مدينة (بسكرة) الجميلة بواديها الذي يخترقها حاملا فوق كل ضفة من ضفافه غابات النخيل الخضراء المتناسقة. ثم انتقل إلى مدينة (سكيكدة) على الساحل الجزائري ليواصل تعلمه الثانوي، ومنها ارتحل إلى المدينة المنورة سنة 1937، ليعود بعدها إلى قاعدته في معهد (ابن باديس) وليعمل كاتبا عاما للمعهد في الفترة التي كانت تمارس فيها الإدارة الإفرنسية كل وسائل الضغط والطغيان

لإعاقة هذا المعهد عن ممارسة دوره. غير أن أحمد رضا حوحو، صمد للضغوط واستمر في أداء دوره، مسخرا أفضل صفتين عرف بهما: (الصمود والعمل المتواصل).

اختار (أحمد رضا حوحو) الكلمة سلاحا له، وكانت القصة القصيرة هي مجال هذه الكلمة، فأخرجت له مطبعة التليلي بتونس في أول سنة 1947 قصته (غادة أم القرى) ثم ظهر له (مع حمار الحكيم) وقبل وفاته بأشهر فقط، صدرت له مجموعة قصص قصيرة في كتاب البعث، عدد شهر كانون الأول - ديسمبر - 1955. ومجموعة قصص حوحو هي (نماذج بشرية) قدم لها بقوله: ، (لو لم تكن هذه الطباع متباينة بعض التباين، تتمتع بشيء من الحرية لخلا المجتمع من هذه النماذج النادرة الطريفة، ولما وجدنا هذه الضحية من ضحايا المجتمع تكسر قيود بيئتها، وتتخذ من الوطنية دينا يهديها سواء السبيل. ولما تعرفنا على هذا الفقيه الطاعن في السن الذي يتخذ من شرع الله حانوتا لبيع الجرائم. ولما كانت هذه النماذج البشرية التي نقدمها للقراء).

كان (أحمد رضا حوحو) يختار أبطال قصصه من واقع مجتمعه، فيجيد تصويرهم بخيال الشاعر وريشة الفنان ليسقط القناع عن الرذائل، وليعمل على إبراز الفضائل، وهدفه الثابت هر تنقية المجتمع الإسلامي العربي من شوائبه، وتطهيره من انحرافاته، حتى لا تكون هناك ثغرة يتسلل منها أعداء الدين والوطن.

مع الأديب الشهيد

بقلم:عبد المجيد عبدوس

أحمد رضا حوحو أحد رجال جمعية العلماء المسلمين الجزائريين المتميزين فهو كاتب ثائر ومثقف شامل وأديب متعدد المواهب يعتبر رائد القصة القصيرة في الجزائر وبالإضافة إلى ذلك فهو مؤلف مسرحي وكاتب صحفي وعازف موسيقي، عرف بمناهضته للاستعمار الفرنسي ودعوَته لمقاومة المحتل. كتب عنه صديقه الحميم الرئيس السابق لجمعية العلماء المسلمين الجزائريين الراحل الشيخ عبد الرحمن سيبان في سنة 1957 مقالا في جريدة الصباح التونسية قال فيه: »يحسن كاتبنا الفقيد إلى جانب مهارته في الأدب والصحافة والفن والإدارة فنونا تطبيقية عديدة، فقد باشر فن التمريض بمعهد ابن باديس أمدا طويلا، ويحسن الضرب على الآلات الكاتبة: العربية والفرنسية، ويتقن تجليد الكتب و يحسن استعمال وإصلاح أدوات المنزل العصرية كالراديو والكهرباء.«

وبأسلوبه الصحفي المتميز كتب الشهيد أحمد رضا حوحو في جريدة البصائر سلسلة من المقالات تحت عنوان: »في الميزان« تناول فيها ستة شخصيات من جمعية العلماء من أساتذة معهد ابن باديس هم: نعيم النعيمي، أحمد حماني، عبد الرحمان شيبان، عبد القادر الياجوري، العباس بن الشيخ الحسين، حمزة بوكوشة، ورسم لكل واحد منهم صورة شخصية مزج فيه بين الجد والفكاهة.كانت باكورة أعماله الأدبية كتاب صدر سنة 1947 تحت عنوان: (غادة أم القرى) وهو عبارة عن قصة طويلة عن حياة المرأة الحجازية، وتعتبر من الارهاصات الأولى التي أسهمت في تأسس الرواية العربية الجزائرية. وألف سنة 1953 كتابه الشهير (مع حمار الحكيم) ويمكن القول أن هذا الكتاب الشيق هو ثمرة تواصل أدبي بين أحمد رضا حوحو وبين الشيخ عبد الرحمن شيبان الرئيس السابق لجمعية العلماء المسلمين حيث ربطتهما صداقة متينة منذ تعارفهما في سنة 1948 بمعهد عبد الحميد بن باديس بقسنطينة حيث كان أحمد رضا حوحو يشغل منصب الكاتب العام للمعهد ،وكان الشيخ شيبان يشغل منصب أستاذ الأدب العربي والبلاغة بالمعهد وكانا عضوين بجمعية العلماء المسلمين الجزائريين ومن محرري جريدة البصائر ومن مؤسسي الجمعية الأدبية (إخوان الصفا)، وقد قدم الشيخ شيبان كتاب (حماري قال لي) للأديب المصري الكبير توفيق الحكيم ،وعندما لاحظ الشيخ شيبان إعجاب أحمد رضا حوحو بكتاب الحكيم طلب من صديقه حوحو أن يجند قلمه ليخط بأسلوبه الطريف وروحه الناقدة كتابا يكون معادلا جزائريا لما انتجه قلم توفيق الحكيم في مصر، وكذلك كان الأمر بتأليف كتاب (مع حمار الحكيم) الذي هو عبارة عن مقالات حوارية ساخرة (بين حوحو وحمار توفيق الحكيم). عام 1949 كتب مجموعته القصصية (صاحبة الوحي) التي تعد وثيقة أدبية وتاريخية هامة للعصر الذي عاشه الكاتب وصور فيها نظرة المجتمع لبعض القضايا العاطفية وعالج أوضاع المرأة العربية والسلوكات الاجتماعية، وقضايا أخلاقية كانت سائدة آنذاك، كما عرض فيها رأيه بصراحة في الأدب. وفي سنة 1955 نشر مجموعته القصصية (نماذج بشرية) وهي عبارة عن نقد اجتماعي بمنظور واقعي وأسلوب ساخر، يقول أحمد رضا حوحو في مستهل مجموعته ...»ثم إني لم أعمد في عرض هذه النماذج إلى الخيال فاستخدمه في التنميق والتزويق، أو إلى التحليل النفساني فأسخره لإثبات فكرة أو دحض أخرى، أجل إني لم ألجأ إلى ذلك وإنما التجأت إلى المجتمع، وانتزعت من مختلف طبقاته نماذج عشت مع بعضها، وسمعت عن بعضها، نماذج حية أقدمها للقارئ لعله يتوصل بها إلى تفهم بعض طباع مجتمعه، فيلمس أنبل نفس في أحقر شخصية، ويلمس الإيمان القوي في قلب الرجل الضال، والزيغ والإلحاد تحت عمامة رجل الشرع..«يقول الشيخ عبد الرحمان شيبان في المقدمة التي كتبها لمؤلف حوحو (مع حمار الحكيم): «يمتاز أدب الأستاذ حوحو بطابع الخفة والصدق والانتقاد، فإنك لا تكاد تقرأ له فصلا من فصوله أو قصة من قصصه أو تشاهد له مسرحية من مسرحياته حتى يفاجئك هذا الثالوث الجميل الحبيب... فهو يعالج ما يعالج من الشؤون بكل صدق وينظر إلى كل ما تقع عليه عينه بروح نقدية تنفذ إلى صميم الأشياء، وبتعبير واحد جامع فإن رضا حوحو في أدبه هو نفس رضا حوحو في حياته

عبد المجيد عبدوس

وكالة القبس للنشر الإلكتروني

عقيدة المسلم المعاصر ، بشكل جديد و أسلوب بسيط ، تحليل عميق ، و تقديم جميل و أنيق لأهم عناصر و أبعاد العقيدة الإسلامية.

لأول مرة في الجزائر ، كتاب غير أكاديمي موجه للطلبة و الشباب المثقف ، يحلل ظاهرتي الحداثة و ما بعد الحداثة و يقدم موقف الإسلام منهما .

تاريخ موجز و مركز للحركة الإسلامية الجزائرية ، بعد الإستقلال ، بشقيها الرسمي و الشعبي .

وثائقية النص في رواية:
(غادة أم القرى) لأحمد رضا حوحو

بقلم: عبد الحفيظ بن جلولي

يراود الدارس للسردية الجزائرية سؤال تطور الرواية، إذ يروم الباحث الوقوف على مسار انتقال الرواية من مرحلة إلى أخرى، تأسيسا وتجريبا وتجديدا، والوقوف على هذه المراحل يوجه الانتباه إلى مجمل الفعل السردي في حركته التاريخية، وهو المدخل إلى فحص شذرات الرواية الجزائرية المتشظية، عبر تاريخ كتابتها منذ أبوليوس مرورا برضا حوحو وصولا إلى بن هدوقة والطاهر وطار، ومن هذا المدخل يكون تناول رواية »غادة أم القرى «التي ظهرت في فترة تاريخية معيّنة، وتعبّر عن تطور معين في البناء الفني والجمالي لكن بمعطيات لحظة كتابتها.

الدفع بالسياق:

تحقق رواية »غادة أم القرى «على أقل تقدير المعادل النفسي للحرية، لكنّها، ونتيجة لخفّة اللغة ومباشرتها وأقدمية النص، فغالبا ما تكون هذه الرواية متهمة، لذلك تدفع بالسياق (الذي يعني لغة الدرء والردّ)، أي خارج النص أو الظروف المحيطة بزمن كتابتها، فالسياق عند هيو سلفرمان: »هو ما يرافق النص. والسياق أيضا خارج النص.«لغة الرواية بسيطة ومباشرة وتبشيرية، لهذا ما فتئ النقد يواجه هذه العناصر بأحكام جاهزة تتعامل مع سكونية النص، أي افتراض عدم ارتداده حاضرا في مسار الحركة النصية التاريخية، فالنص بطبيعته متحرك عندما يمتلك مستويات قادرة على أن تجعل القارئ يتحرّك داخله، وحركة نص »غادة أم القرى «تتجاوز الداخل لتحيل إلى الخارج كآلية دفاعية تثبت وجودية النص، وتفاعله مع التلقي في حدود عناصره وأدواته المحدّدة بزمن ومكان إنتاجيته النصية، بتعبير جوليا كرستيفا في إطار »اللعب ـ خارج نصي«، بمفهوم رولان بارث، الذي »هو نابع من العلاقة الخاصة التي يعقدها القارئ مع العمل الأدبي«، كموضوع أنتج ضمن سياق معين أو ما يسميه فان ديك أنحاء النص، »حيث ربط النص ببنيات خارجية.. تتجاوز الحد السكوني الذي تقف عنده البويطيقا، أو السّرديات إلى مقاربة دينامية النص«، ومنه تتأسّس »غادة أم القرى «قرائيا عند حدّي تاريخيتها من جهة، وتطوّر فن الرّواية من جهة أخرى.يدل النص »على نمط خاص من القراءة«، كما يرى هيو سلفرمان، أي تفعيل النص داخل آفاق بديلة عن ارتباطاته المنطقية في أفق تلقيه الأولي.

الرّواية المعبر

يمكن اعتبار الرّواية مجال الدراسة وثيقة نظرا لتقادمها، فقد كتبت في الحجاز، ونشرت في تونس سنة 1947، وبالتالي تصبح عناصرها الفنية معيارية بالنسبة لتاريخيتها، وليس بالنسبة لعناصر الرواية، والوثائقية تقف عند المفهوم التاريخي، بعيدا عن المفهوم التصنيفي الذي يعزو ظهور الرواية الوثيقة »إلى ظروف نشرها«، حيث »إنّ أكبر الرّوايات التي ظهرت في القرن التاسع عشر كانت أولا روايات متسلسلة«، نشرت على صفحات الجرائد. تتحقق وثائقية هذه الرّواية أيضا قياسا إلى التطور الهائل الذي شهدته الرّواية الحداثية، فعنصرا التقادم وتطور فن الرّواية يجعلان منها وثيقة معبر بين أصول الانبثاق الإجناسي وتجليات التأسيس الفني والتجديد الرؤيوي، وتلك هي عناصر البحث في إبداعية السردية الجزائرية في جانبها الروائي، والإبداعية تتعلق في جانب من جوانبها بأنوجادها التاريخي، أي قدرة النص على الحركة في التاريخ، وهو ما يميز النص الحاضر، حيث يتكرس كنص معبر بين لحظتين فارقتين في تاريخ الرّواية الوطنية، أولها اللحظة العلامة، أي اللحظة التي شهدت انخلاق النص الروائي الوطني، متمثلا في رواية »الحمار الذهبي« للكيوس أبوليوس، حيث يعتبرها أبو العيد دودو في ترجمته لها أول رواية إنسانية، وثانيها اللحظة الهوية، تلك التي شهدت ميلاد الرّواية الجزائرية بخصائصها الفنية والإبداعية الحديثة مع ظهور روايتي «ريح الجنوب» لعبد الحميد بن هدوقة و«اللاز» للطاهر وطار. تسهّل خطاطة المراحل هذه للباحث الوقوف عند مفهوم مراحل العلامة والمعبر والهوية، ولا يمكن للباحث في تطور الرواية الجزائرية أن ينتقل بين مراحل تشكلها بدون أن يجتاز معبر الوصل، باعتباره نقطة الارتكاز في تفتيش الماضي واستشراف المستقبل، ذلك أن الرواية رفيقة درب الإنسان، حيث تصاحب »الإنسان على الدوام بإخلاص منذ بداية الأزمنة الحديثة «كما يقول ميلان كونديرا.وثائقية النص لا تعني تاريخيته بالمعنى الاصطلاحي، بقدر ما تروم تلقيه ككتلة سردية، خلال حركته في التاريخ وقراءة المعنى في المستويات اللفظية والتركيبية والدلالية.

مأمول النص:

تبعا لتاريخية النص ووثائقيته فإن حفرياته تكشف عن مدى فاعليته في ظرفه الزماني ورمزيته المكانية، والوثائق تنطلق من تاريخية النص من حيث إنه شكل في لحظة معينة من الزمن، نواة لإرهاصات نص روائي، وبالتالي فوثائقية النص لا تعني تاريخيته بالمعنى الاصطلاحي، بقدر ما تروم تلقيه ككتلة سردية، خلال حركته في التاريخ وقراءة المعنى في المستويات اللفظية والتركيبية والدلالية، وصولا إلى النص/النضج، وبالتالي فإن مضمون ما يتسرب إلى التلقي يتحلّل إلى معطيات قابلة للتأويل طبقا لخطاطة النص العامة، ولوحداته السردية، فعنصر الحكاية في النص يعتمد على تبشيرية واضحة، إلا إنّها تتفلت من الأيديولوجي لترتبط بالشرط التاريخي المهيمن على وعي الكاتب، فالتبشيرية فنية تشتغل على مواجهة التقاليد المعيقة لحركة المجتمع، المتمثلة في إهمال العلاقات العاطفية بين الرجل والمرأة، أي انفقاد قيمة الحب، سواء كانت المرأة أما أو بنتا أو أختا أو حبيبة، فـ«حوحو يؤكد فقط على شيء غير مسمى، منسي، غير مفكر فيه، وإنه أيضا سؤال المرأة الأساسي، الذي يبدو أنه لم ينل كل حظه من التحليل والمراجعة في المجتمع العربي الإسلامي«، كما يرى بختي بن عودة إلا أنّ الظرف التاريخي المؤطّر بالاستعمار يجعل القصدية ممكنة في مقابلة الكاتب بين مناهضة انحراف التقاليد ومناهضة الاستعمار، التقاليد المنحرفة التي تشكل اعتلالا سابقا للاستعمار، والتي شكلت له القابلية له بتعبير مالك بن نبي، وبالتالي وجب التخلص منه لأنه يصبح توعويا معادلا موضوعيا للحالة الاستعمارية في كينونتها المعيقة للحركة والتطور والحرية، ومن هذا المنطلق تقرأ التبشيرية ـ الفنّية ـ ضمن سياقها الاجتماعي والتاريخي كحالة فنية اقتضتها الضرورة السردية في اشتراطاتها النضالية والمقامة.

اللغة الرّجع/ المباشرة التوافقية:

يدل النص »على نمط خاص من القراءة«، كما يرى هيو سلفرمان، أي تفعيل النص داخل آفاق بديلة عن ارتباطاته المنطقية في أفق تلقيه الأولي. إنّ ربط النص بالظرف التاريخي يجعل منه حالة إبداعية تتصر لوعي الكاتب بالمرحلة، وقراءة رضا حوحو خارج اشتراطات الإحساس بالهيمنة الاستعمارية، حيث تمثل »العبرة «آلية لتحريك مستويات السرد والحكي داخل النص، فالعبرة أو ما أسميه بالتبشيرية، الفنية عنصر من عناصر الكتابة الفنية لدى رضا حوحو، يبرّر ذلك على أساس حداثة مسعى التجربة الروائية. يكشف نص حوحو عن ارتباطه بالقضية الوطنية من حيث إنّه يحاول نقل درجة الوعي بمأساة الاستعمار إلى الشرائح الشعبية الواسعة، التي كانت تعاني من الأمّية المطبقة، فالمباشرة تلعب دورا توافقيا بين عدم نضج الأداة الفنية ومقتضيات المرحلة التاريخية، ومنه فالعبرة تتطلب وسيطا تواصليا مباشرا يحقق سرعة التواصل مع الطبقات الشعبية الواسعة.يوقظ الوعي الوطني.يمتع من حيث اشتغاله على المحمولات الفنية.ويدخل ضمن هذا المسعى المنهج الساخر في أدب رضا حوحو، إذ يحقق الصدمة من خلال استهزاء الذات بواقعها، وهو ما يقود إلى تصحيح الأوضاع. تصبح اللغة المباشرة عند رضا حوحو في ربطها بالعامل التاريخي مكونا ارتجاعيا إلى عناصر ضمنية، تحيل إلى وعي الكتابة لدى الروائي بالمرحلة التي كان يعيشها متألما وآملا.

قراءة في المجموعة القصصية صاحبة الوحي

بقلم: هدير الهنداوي

إزدهرت القصة القصيرة الجزائرية على يد رائدها أحمد رضا حوحو، وهو الكاتب ذو الصيت الإعلامي، والأدبي الكبير. ولم تكن هي المجموعة القصصية الوحيدة له آنذاك. صادر العدوان الفرنسي على الجزائر حرية قلمه، وهددوه بالإعدام نتيجة لأفكاره الحرة. وتعد "صاحبة الوحي" من أشهر المجموعات القصصية ذات البعد السوسيولوجي لكاتب جزائري مناضل كأحمد رضا حوحو.

تم إصدار باكورة إنتاجه الأدبي عام 1949م، وهي المجموعة القصصية "صاحبة الوحي"، والتي تم تقديم الطبعة الثانية منها عام 1988، من خلال المؤسسة الوطنية للكتاب الجزائريين.

• تتدرج بقائمة المجموعة القصصية صاحبة الوحي، هذه القصص:

• خولة. أدباء المظهر. ثرى الحرب. الفقراء. جريمة حماة. فتاة أحلامي ،القبلة المشؤومة. صديقي الشاعر. صاحبة الوحي.

• تتفاوت القصص في طولها؛ فأتت قصة "حولة" كأطول قصص المجموعة، والتي تعتبر من أهم القصص التي ناقشت قصة تحرر امرأة بدوية من العادات والتقاليد السامة. ولم تكن "خولة" هي القصة الأولى التي نشد من خلالها حوحو أهم قضايا المرأة العربية؛ فقد سبقتها قصة "غادة أم القرى" والتي تناول فيها أهم ملامح حياة المرأة الحجازية في المدينة المنورة.

• تأثرت موضوعات القصص بالفترة التي عاشها حوحو، وظهر ذلك بشكل واضح في مجموعته القصصيه صاحبة الوحي، فقصص : ثرى الحرب، صديقي الشاعر، جريمة حماة، القبلة المشؤومة مثلا يحكي من خلالها أبرز ما تأثر به في الفترة التي استقر بها بالجزائر عام 1946، وحتى تلك الليلة التي افتاده فيها الفرنسيين من بيته في السادسة صباحا بمنتهى الوحشية وقبل أن يلقى مصيره الأخير.

تأثر أسلوب حوحو في كتابته لقصة "الفقراء" برواية الأديب الفرنسي فيكتور هوجو "البؤساء"، وانتقد من خلال أسطر قصته الطبقة البورجوازية، والتي نهبت خيرات من حق المستضعفين، وانحاز فيها وبشدة للطبقة الفقيرة والتي كانت المعاناة من نصيبها فقط.

• ظهرت المجموعة القصصية "صاحبة الوحي" في وقت كان الكتاب يتحرجون فيه من الحديث عن الحب كعاطفة جياشة، ولهذا فقد تناول الكاتب أحمد رضا حوحو الحب بدواقعه الأخلاقية؛ فهو ضرورة من ضروريات الحياة، وهو الحافز الأول لتحقيق النبوغ، والتقدم.

• كما برأ الكاتب من خلال مجموعته القصصية الحب من أي اتهام يتعلق بالفسق أو المجون، علاقات الحب بقصص مثل "القبلة المشؤومة، جريمة حماة، خولة" حب طاهر، تعيق استمراره العادات والتقاليد، والأقارب، والأهل في مجموعهم أوفرادى؛ لأنه ليس معترفا به من قبلهم، ولا يجد أبطال القصص لديه مَن طرق المواجهة لهذا الرفض؛ بيد الشعور بالظلم، والحسرة، والنواح.

• في قصة ثرى الحرب، يعالج الكاتب سلوك الناس خلال الحرب، وما بعدها، وكيف يؤثر الفقراء الآخرين على أنفسهم، . أما في قصتي "صديقي الشاعر، أدباء المظهر" هو يتناول قضية الصدق، ويعرض رأيه بصراحة في الأدب.

• من الناحية الأدبية، لم يختلف الكثيرين حول استعراض حوحو للقصة، وأحداثها، وشخصياتها بأسلوب نمطي تقليدي، كما ظهر ذلك بشكل واضح في اللغة التي اعتمد عليها لتصوير الكثير من الأحداث، والتفاصيل. وبناءا عليه، فإن المجموعة القصصية صاحبة الوحي تمثل الفترة التي عاشها الكاتب، وتجسد مرحلة فنية تأسست فيها القصة القصيرة بالجزائر على يديه، ولهذا فهي وثيقة أدبية وتاريخية هامة.قيل قديما "من رحم الألم يولد الإبداع"، وإذا عاش الأديب، أو الكاتب، أو الفنان بأي صفة تتدرج تحت صفات الفن في مجموعها؛ ظروفا صعبة، فإنه يحرر نفسه من سطوة هذه الظروف بالفن.

• لطالما كان الفن، والأدب من الصور شديدة البلاغة في التعبير عن أقوى ما يمكن للمرء فعله في حالة معالجته من قسوة الحياة، أو ظروف ولد بها، ولم يختر أن يوضع فيها.

• وكان من أبرز ما ظهر بحياة أحمد رضا حوحو رائد القصة القصيرة في الجزائر هو العدوان، والذي أثر على حياته كطالب مرة فلم يكمل دراسته إلا حينما غادر الجزائر وبعد زواجه لأن العدو الفرنسي كان يمنع استكمال الأطفال لتعليمهم آنذاك.

• بالإضافة إلى أن هذه المعاناة قد أثمرت ترجماته الفرنسية، وقدرته على تناول الكثير من القضايا السوسيولوجية، والإنسانية من خلال مجموعته القصصية.

• *نماذج عشت مع بعضها وسمعت عن بعضها ، نماذج حية أقدمها للقارئ لعله يتوصل بها الى تفهم بعض طباع مجتمعه*)....

• إن انطلاق الكاتب في تخليد رحلة معاناته من خلال ما رآه في معاناة الوطن يعتبر من أعظم ما يمكن للكاتب إنجابه، وتقديمه لشكر وطنه على تحمل كل هذا العناء، وكذلك لأبناء الوطن من أصحاب القضية الحقيقية، والوجود الإنساني المميز.

لقد رحل أحمد رضا حوحو بطريقة لم ينسها التاريخ العربي، وخلدت وصمة في تاريخ العدوان الفرنسي.

مسرح الفرجة و النضال

دراسة في أعمال أحمد رضا حوحو

قراءة د/ إبراهيم صحراوي (رحمه الله)

صدر عن دار هومة في الجزائر مؤخرا كتاب جديد للدكتور أحمد منور يحمل عنوان: مسرح الفرجة والنضال في الجزائر . يبدو الكتاب للوهلة الأولي تأريخا عاما للمسرح في الجزائر لولا العنوان الفرعي الذي يجعلك تنتبه إلي أنه يقصر بحثه علي مسرح أحمد رضا حوحو دون سواه. المؤلّف أستاذ بقسم اللغة العربية وآدابها بكلية آدابَ جامعة الجزائر ووجه ثقافي أدبي بارز في الساحة الجزائرية. هو أحد كتاب القصة القصيرة المعروفين. ينتمي إلي ما يعرف في الجزائر بجيل السبعينيات. أما الشخصية المدروسة أحمد رضا حوحو، فهو أحد الأدباء الجزائريين من شهداء ثورة التحرير الكبري. ولد في بلدة سيدي عقبة نواحي مدينة بسكرة، واستشهد سنة 1956 في مدينة قسنطينة. تلقي تعليمه الابتدائي والإعدادي في ناحيته مازجا بين التعليم الأهلي والرسمي. هاجر بصحبة َعائلته إلي الحجاز سنة 1935 ومكث هناك عشر سنين ليعود إلي الجزائر ويستقر بمدينة قسنطينة. كتب المقالة والقصة القصيرة والرواية والمسرح (وهو الجانب الذي يدرسه الكتاب). كان ينتمي إلي الحركة الإصلاحية معلّما في مدارسها ومحرّرا في صحفها. ترك َعند وفاته مؤلفات منشورَة عدة منها: غادة أم القري (قصة طويلة، ط 1 تونس 1947). مع حمار الحكيم (مقالات قصصية انتقادية، ط 1 ق. الجزائر 1953). صاحبة الوحي (قصص قصيرة، ط 1 ق. الجزائر 1954). نماذج بشرية (قصص، ط 1 تونس 1955). هذا إضافة إلي مقالاته ودراساته في جرائد ومجلات جزائرية وسعودية. كما ترك مخطوطات كثيرة.الكتاب من القطع المتوسط. يقع في ستة فصول مع مقدمة وخاتمة وفهارس للمصادر والمراجع والمواد ضمّتها 187 صفحة. في تمهيد خصّصه المؤلّف لظهور المسرح الجزائري وتطوره لاحظَ تأخر هذا الظهور نسبة إليه في البلدان العربية الأخري وذلك بسبب ظروف الاحتلال التي عرفتها الجزائر وطبيعة هذا الاحتلال الاستيطاني الذي كانت الهوية الجزائرية بمكوناتها (عروبة، أمازيغية، إسلام) هدفه الأول. لم يكن اشتغال الجزائريين بالمسرح تأثرا بالفرنسيين الذين أدخلوه إليها في بداية الاحتلال، بل تأثرا بإخوانهم في المشرق خصوصا بعد زيارة فرقة جورج أبيض سنة 1921 وزيارات فرق أخري فيما بعد. كانت بداياته متعثرة ككل البدايات. غلب عليها في الفترة الأولي الممتدة فيما بين 1921 و1926 طابع الدراما الجادة وكانت لغة الحوار فيها هي العربية الفصحي. وعرفت المرحلة الثانية انطلاقة جديدة امتدت من 1926 إلي نهاية الحرب العالمية الثانية اتجه فيها رواده آنذاك أمثال: محي الدين باشطارزي وعلي سلالي ورشيد القسنطيني ومحمد التوري إلي كتابة الكوميديا واستعمال العامية بدل الفصحي. عرفتِ هذه المرحلة إقبالا جماهيريا كبيرا رسّخ المسرح باعتباره تقليدا في المجتمع الحضري الجزائري. أما المرحلة الثالثة الممتدة فيما بين سنة 1947 واستعادة الاستقلال سنة 1962 ، فقد تميزت بالعودة القوية للنشاط المسرحي وعودة النصوص باللغة العربية الفصحي بعد أن تهيّأ لها الجو بفضل الأثر الذي أحدثته جمعية العلماء المسلمين الجزائريين في المجتمع. كان المسرح الفصيح ذا طابع مدرسي شبه كامل في محتواه وأهدافه ولم يخرج عن إطاره الضيق هذا إلا علي يد أحمد رضا حوحو الذي أنشأ فرقة مسرحية وموسيقية هي فرقة المزهر القسنطيني التي قدمت نشاطا متنوعا مسرحيا وموسيقيا استمر لسنوات ولم يتوقف إلا بتوقّف حياة حوحو باستشهاده سنة 1956 كما سبقت الإشَارة. قدم المؤلّف في الفصل الأول ترجمة وافية للشخصية المَدروسة التي ظلت جهودها في المسرح مغمورة إلي حد ما ، قياسا بما قيل وكتب عن كتاباتها الأخري خصوصا في مجال القصة. فتعرض إلي نشأة حوحو ودراسته ونشاطه ضمن جمعية العلماء المسلمين واستشهاده. كما تحدث عن ثقافته وانتمائه الفكري وآثاره ومميزات أدبه. وواصل هذا الحديث في الفصل الموالي (الثاني)

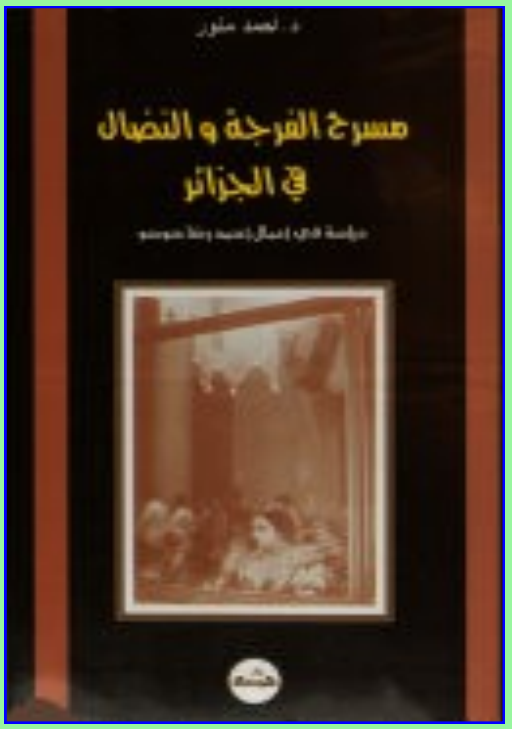

الكاتب : د/ أحمد منور

لكنه قصره هنا علي أعماله ونشاطاته المسرحية دون سواها. مفهوم المسرح وأهدافه عند حوحو استأثر بالفصل الثالث. استخلصه المؤلف عبر مناقشته لمقالتين لحوحو إحداهما عن الكاتب المسرحي الفرنسي الشهير موليير ومسرحه دافع عنه فيها وانتصر له علي خصومه، مما يشي بإعجابه به ويدل ذلك علي انه كان يعتبر المسرح وسيلة تربوية هامة تهدف بالدرجة الأولي إلي تقويم سلوك الأفراد ومحاربة الآفات الاجتماعية، ذلك أن الفن الدرامي مؤهل للقيام بهذا الدور أفضل قيام لما يتميز به من خصائص لا تتوفر في غيره من الفنون الأخري خصوصا قِدرته علي التوصيل بيسر وبساطة ودون شروط مسبقة كمعرفة القراءة والكتابة مثلا. وتحدثت الفصول الموالية عن تطابق تصور حوحو للمسرح مع تطبيقه. فكان الرابع منها معاينة للفروق بين النصوص الأصلية والنصوص المُقتبَسة، منتهيا إلي أن بالنصوص المقتبسة ضعفا فنيا وثغرات كثيرة في مستويات عدة ويعود ذلك أساسا إلي كثرة الحذف والاختصار الذي فرضته مبررات فنية موضوعية وضرورية أهمها ضرورة اتفاق النص مع أخلاق وتقاليد البيئة الجديدة المنقول إليها. كما يعود الضعف إلي الاستعجال الذي تحكّم بإنتاجها، وهو استعجال يعود أساسا إلي انشغالات حوحو المتعدّدة وتوزع جهوده بين الصحافة والإدارة وشؤونَ الفرقة. وتتبع الفصل الخامس الفروق بين التاريخ والخيال في مسرحية ملكة غرناطة التي اقتبسها عن مسرحية روي بلاس لفيكتور هيغو.وكان البعد السياسي لمسرح حوحو موضوع الفصل السادس والأخير من الكتاب. بعد ينبع من منطلق نضالي وطني مناهض للاحتلال ورافض لممارساته وأساليب حكمه. ويهدف إلي فضح غشه وادعاءاته. يختم المؤلف كتابه بجملة استنتاجات واستخلاصات ترسم فكرة واضحة عن حوحو ومسرحه. فرغم تربيته المحافظة وبعده في صباه عن المراكز الحضرية الكبري، اكتشف حوحو فنّ المسرح وتعلّق به. فنظر إليه نظرة مثالية ورأي فيه أداة للتربية والترفيه والتسلية بامتياز. مكنه ذلك من أن يقوم بنشاط معتبر فيه رغم عدم تفرغه له، فيؤلّف ويقتبس ما يزيد عن عشرة أعمال كانت العمَود الفقري لنشاط فرقة المزهر. وكان اقتباسا أعطي فيه لنفسه حرية تامة فَي التعامل مع النص الأصلي علي غرار طريقة تعامل رجال المسرح في الجزائر وفي المشرق العربي في هذا المجال. كما لمٍ يأبه كثيرا بصحة الحقائق التاريخية ولم يتحرج من التصرف فيها وإدخال ما شاء من التعديلات. غابت السياسة إلي حد كبير في أعماله لكن حضورها في القليل منها كان شديد الارتباط بالواقع مع فهم عميق له، وجرأة في نقده، جرأة ساخرة داعية إلي تغييره. ينتهي المؤلف في آخر كتابه إلي ملاحظة غني تجربة حوحو المسرحية تمثيلا وتأليفا واقتباسا رغم قصرها. كما لاحظ إسهامها الجيد والفعالَ في تنشيط المحيط الذي انبعثت منه وفيه في ظل الظروف القاسية التي نشأت عن الاحتلال. تكتسي هذه التجربة أهميتها وخصوصيتها من كونها وطنية في منطلقاتها تثقيفية في وسائلها تربوية في أهدافها، وهو ما جعل منها نموذجا مثاليا في المسرح الجزائري ومن صاحبها مثالا للمثقّف الواعي الذي عاش هموم شعبه ووطنه حاملا قضاياه ومدافعا عن حقه المشروع في الحرية والكرامة غير متردّد إذا ما دعت الحاجة، في التضحية بالنفس في سَبيل هذا الهدف. الكتاب رحلة ممتعة في عالم المسرح الجزائري وبالأخص في أحد دروبه: درب أحمد رضا حوحو، وإنارة لإحدي زواياه: الشرق الجزائري. تتكون لنا بعد الانتهاء من قراءته فكرة وافية عن جهود حوحو في المسرح وتكشف لنا جانبا آخر من جوانب شخصيته الأدبية لا يقل جدية وطرافة عن جوانبها الأخري. هذا عدا ثرائه بالمعلومات التاريخية القيّمة وإحالاته الكثيرة التي هي جزء مهم َمن بيبليوغرافيا التاريخ الجزائري الحديث الثقافي منه علي الخصوص، في التمهيد والفصلين الأول والثاني رغم طابعها السردي التاريخي البحت. وبهذا يمكن اعتبار الكتاب إضافة إلي مكتبة المسرح الجزائري الذي ظلّ إلي فترة قصيرة يعاني قلّة المكتوب فيه وعنه.أخيرا، هل اقترنت الفرجة بالنضال في مسرح حوحو؟ وهل عكس الكتاب ذلك؟ نترك الإجابة لقارئ الكتاب. ناقد من الجزائر .

ومضات من حياة الأديب أحمد رضا حوحو

بقلم: د/ عبد الله حمادي

نظرا للذكاء والفطنة التي تميّز بهما الأديب أحمد رضا حوحو فإنّنا نستشف من كلّ الدراسات التي اهتمت بالأديب حوحو أنّه كان مولعا بالمطالعة باللغة العربية والفرنسية، وكان بالإضافة إلى تحصيله الدّيني في كلية الشريعة بالمدينة المنورة فإنّه كان يولي عناية كبيرة لقراءة ما يكتبه أدباء عصره من أمثال العقاد والمازني والرافعي وطه حسين والدكتور زكي مبارك، ورواد القصة العربية من أدباء مصريين وسوريين ولبنانيين وغيرهم، وهو ما مكنه من ولوج عالم الكتابة منذ 1937 . فبدأ ينشر مقالاته في «مجلة الرابطة العربية » كما نشر في مجلة (المنهل) السعودية ، هذه المجلة قد فتحت في البداية صفحاتها أمام كتابات الأديب رضا حوحو لمّا كانت لا تتعارض ومبادئها لكنها سرعان ما سدّت أبوابها في وجه كتاباته المنادية بحرية المرأة والمعرّفة بالآداب الأجنبية، وهو ما جعل رضا حوحو يخيب ظنه فيها وربّما يعجّل بتفكيره في العودة إلى الجزائر بعد الحرب العالمية الثانية ، كما لم تجد روايته الأولى (غادة أمّ القرى) الاستقبال المناسب للتجربة الرائدة للأديب رضا حوحو في عالم الرواية من طرف النقاد في الحجاز وخاصة إهداءه المثير القائل فيه « :إلى تلك المخلوقة البائسة المهملة في هذا الوجود ، إلى المرأة الجزائرية أقدّم هذه القصة تعزية وسلوى »؛ كما لم تجد مجموعته القصصية (صاحبة الوحي) والتي من ضمنها قصّته المثير (خولة)لم تلق هذه المجموعة القصصية الاستحسان النقدي اللاّئق؛ فروايته الرائدة »غادة أمّ القرى تعتبر محصلة مشاهدات الأديب في الفترة التي قضّاها في أرض الحجاز والتي تمتد من 1935 إلى 1946 . وهي مدّة كافية لتجعل الأديب المنحاز لضرورة تحرير المرأة العربية لكونها المعول عليها في إنجاب رجال المستقبل، أن تتشكل لديه تلك الرؤية المأساوية التي تعيشها المرأة في المجتمعات العربية ، وبالتالي رأى الأديب رضا حوحو ضرورة تحريك أفكار المثقفين العرب من أجل المناداة بضرورة تحرير نصف المجتمعات العربية المكبلة بالتخلف والجهالة والحرمان من أبسط الحقوق الشرعية والوضعية.

السخرية و الواقعية

ذكر المرحوم الدكتور أبو القاسم سعد الله في كتابه »دراسات في الأدب الجزائري الحديث »ما يميز أدب رضا حوحو، من بين ما يميزه هو السخرية والواقعية «المستمدّة من الحياة ، ولعلّ هذه السمة مردّها إلى قراءات راسخة في ذهن رضا حوحو منذ مقامه بالحجاز وزيارته إلى مصر، فقد عرف عن رضا حوحو ولعه بأدب مدرسة الديوان ، وعلى وجه الخصوص أدب المازني الذي يعتبر رائد الأدب الساخر في الحركة الأدبية الطلائعية العربية، وقد كان لرضا حوحو اهتمام خاص بأدب المازني، بل وضع من حوله دراسات في سلسلته المنشورة في مجلة (المنهل) تحت عنوان (في الميزان) تؤكد إعجابه الكبير بهذا الأديب الساخر، ومن هناك فقد اتسمت أدبيات رضا حوحو بالسخرية والواقعية والحوارية الجذابة التي تعيد تصدير الواقع في حلّة من الطرافة يطوعها لرسم الواقع المرير، والتخلف المقيت جرّاء ما لحق بالجزائر من ظلم المستعمر الفرنسي، وجريرته في سبب التخلف الذي يعاني منه المجتمع الجزائري ونلحظ في كتابات الأديب رضا حوحو تمجيد للعصامية ولعلها السمة التي تمثل شخصيته بمختلف أبعادها الفكرية والجمالية ؛ فالأديب رضا حوحو ليس له من الرصيد التعليمي في حياته الأولى سوى النزر القليل فمعارفه في اللغة العربية لم تتجاوز حدود قريته ، ومعارفه بالفرنسية كانت حدودها عند عتبات إكمالية سكيكدة لكن رضا حوحو المسكون بحب المعرفة والإبداع سخر ذاك الرصيد المعرفي المتواضع ليشق به عباب المعرفة من بوابتين كبيرتين هما : بوّابة الثقافة العربية وما تزخر به من رصيد معرفي هائل وبوّابة الثقافة الفرنسية وما تعجّ به من خلاصات فكرية للحضارة الغربية الممهورة بالتنوّع والتجديد المستمر ؛ لقد استفاد رضا حوحو من اللغة الفرنسية وولج من خلالها إلى أمهات الأعمال الروائية والشعرية والمسرحية ، ومنها كان ولوجه المبكر لعالم الرواية والقصة القصيرة وعالم المسرح والاقتباس فخرج على المثقفين بالحجاز بما لم يسبق لهم أن عرفوه، ومكنهم من إثراء الثقافة العربية بأطياف إبداعية من نوع جديد فكان مطلع الخمسينيات من القرن العشرين يشهد له بتحفيز المبدعين العرب على ركوب أنماط إبداعية جديدة في عالم السرديات الدخيلة على الثقافة العربية وهو ما يقره بعض النقاد السعوديين لجهود رضا حوحو الإبداعية .إنّ سرديات رضا حوحو كانت فتحا جديدا بالنسبة لكتاب الحجاز ، كما كانت موضوعاته بمثابة المنبه المبكر لرؤية جديدة إلى ما يجب الاهتمام به كموضوعات المرأة وما ينجر عن غيابها وإقصائها من خطر على المجتمعات العربية ، كما كانت دعوته للتفتح على الآخر والاهتمام بما يبدعه ضرورة تساعد على إثراء محصول الثقافة العربية ، فكانت الترجمة والاقتباس من المسائل التي حثّ على ضرورة الاهتمام بهما من أجل إقلاع إبداعي جديد . أمّا المسرح والفنون المتعلقة بهذا النوع من الإبداع فقد كانت من الضرورات التي جعلته يعجل بظهور (المزهر القسنطيني) الذي يعكس مدى الاهتمام الذي يوليه رضا حوحو للتمثيل والموسيقى والثقافة الشعبية كأوجه تعبيرية تفتقر إليها الثقافة العربية وهي في أمس الحاجة إليها نظرا لأوضاع التخلف الذي تعاني منه ، فلم ير الأديب رضا حوحو وهو العضو النشيط في جمعية العلماء المسلمينَ من ممارسة الفنّ المسرحي تمثيلا وكتابة، كما لم ير في ممارسة الفن الغنائي حرجا لتنمية الشعور بتلك الحساسية التي لا تدرك إلاّ من خلال الأوتار والمعازف ؛ كان المزهر القسنطيني حلقة مفتوحة على الطرب وتنقية النفس من شوائب التخلف والجفاء .يمكن القول إنّ رضا حوحو قد طور برنامج جمعية العلماء المسلمين الذي كان موقوفا عند عتبات برنامجها التقليدي الثلاثي الأبعاد: الإسلام ديننا والعربية لغتنا والجزائر وطننا ... لقد عرف هذا الشعار مع الأديب رضا حوحو وثبة نوعية نحو الأمام لذا أدخل ضمن محاوره السرديات بمختلف أشكالها الروائية والقصصية والمسرحية والمقالات النقدية المفعمة بالسخرية والنقد الاجتماعي الهادف . فصارت جمعية العلماء بعد ما كانت جمعية تعليمية تهذيبية كما يعرفها الشيخ البشير الإبراهيمي، جمعية طليعية تمارس الفنّ الهادف والنقد البناء وتعد بآفاق مفتوحة على الآخر وعلى المستقبل الأفضل لذا كان الأديب رضا حوحو خير ممثل للصوت الجزائري الذي يعاني الاضطهاد والقهر حين شارك في المؤتمر العالمي للسلام الذي انتظم بباريس عام 1949 قال فيه ... « :إنّ الجزائر تتجرع كلّ يوم ويلات الحرب بشتى الوسائل برغم تطلعها إلى السلام، وإنّها لا تريد أن ترى دماء أبنائها تسيل منهمرة ، لا تريد أن تخضع لليأس، وألاّ ترى دموع الثكالى ودموع الأيامى ودموع اليتامى تسيل من أجل تضخيم ثروة الأثرياء (تجار السلاح) وتوسيع أراضي المستعمرين؛ إنّ الجزائر لا تحتجّ على الحلف الأطلسي فحسب وإنّما ترفضه رفضا باتا .. إنّ الجزائر تريد الحريةّ والسلام لجميع الشعوب ، فلا غرابة في أن تريد الحرية والسلام لنفسها، فهي تمدّ يدها لكلّ من يريد لها أن تعيش حرةّ آمنة .»إنّ التزام رضا حوحو المبدئي مع قضية الجزائر وشعبها جعله يصنّف على رأس قائمة أعداء فرنسا الاستعمارية ، وبلغ الحدّ بالسلطات الاستعمارية الفرنسية القمعية أن حمّلته المسؤولية الكاملة على كل ما من شأنه أن يعكر صفو أمنها في مدينة كقسنطينة مستقر الأديب ومعقل الفداء والفدائيين ، ومثل هذا التهديد المباشر لم يوجه لمثقف قبله ولا بعده في تاريخ الاستعمار الفرنسي للجزائر إذ يقول رفيق دربه المرحوم الشيخ حماني (... كان مراقبا وتحوم حوله شكوك السلطة الاستعمارية فاعتقل في أوائل 1956 وعذّب تعذيبا منكرا ، ثمّ هدد تهديدا صريحا بأنّ الشرطة الاستعمارية ستعتبره مسؤولا عن أيّ حادث يحدث بمدينة قسنطينة ، وأنّ جزاءه سيكون حينئذ الإعدام) ولم تمض إلاّ أياما معدودات حتى حدث ما كان متوقعا ، فألقت الشرطة الاستعمارية القبض على الأديب الذي لم يكن يحمل بندقية ولا مسدسا ولا قنبلة بل كان سلاحه قلمه وفكره الرافض للقمع الاستعماري بشتى أنواعه ، ونفّذ الاعدام الجبان في شهيد القلم من طرف الاستعمار الفرنسي في 29 من شهر مارس 1956 بعد أنواع من التعذيب التي لا توصف والتي جعلت بعضهم يذكر أنّ جسمه النحيل ، جسم المثقف المسالم قد نشر بالمناشير وقطع إربا إربا، وهيل عليه التراب حتّى لا يعرف الخلق مثواه الأخير . رحم الله شهيد الواجب والكلمة أديبنا الرائع أحَمد رضا حوحو ..

د/ عبد الله حمادي

FOULABOOK.COM

FOULABOOK.COM

FOULABOOK.COM

FOULABOOK.COM

FOULABOOK.COM

FOULABOOK.COM

FOULABOOK.COM

FOULABOOK.COM

FOULABOOK.COM

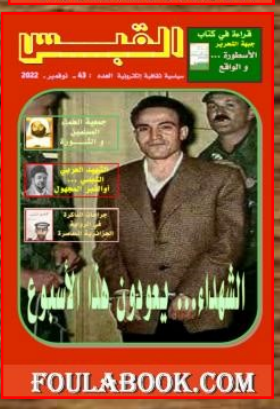

FOULABOOK.COM

FOULABOOK.COM

FOULABOOK.COM

FOULABOOK.COM

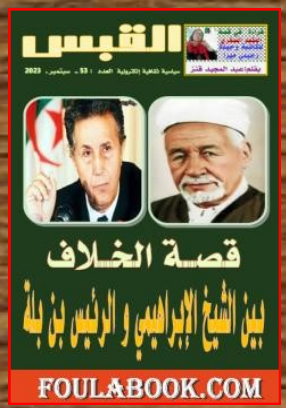

FOULABOOK.COM

FOULABOOK.COM

FOULABOOK.COM

FOULABOOK.COM

FOULABOOK.COM

FOULABOOK.COM

FOULABOOK.COM

FOULABOOK.COM

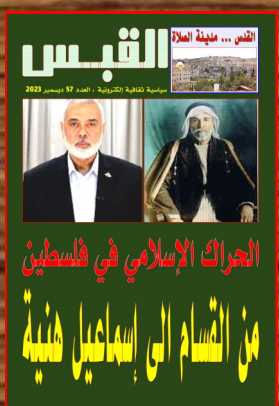

FOULABOOK.COM

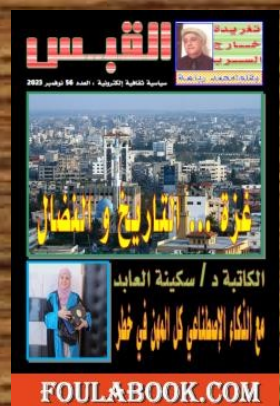

FOULABOOK.COM

FOULABOOK.COM

FOULABOOK.COM

FOULABOOK.COM

FOULABOOK.COM

FOULABOOK.COM

FOULABOOK.COM

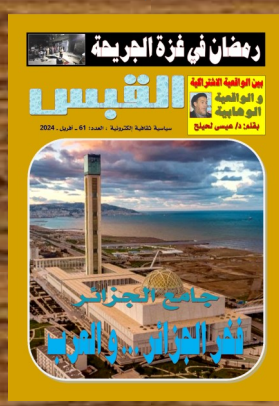

FOULABOOK.COM

FOULABOOK.COM

FOULABOOK.COM

FOULABOOK.COM

FOULABOOK.COM

مكتب الأعمال و السكريتاريا و الإستشارة الإدارية

حي المويلحة ، أولاد موسى ،ولاية بومرداس
الهاتف: 0560.78.99.96

وسيطكم الأمين في كل التعاملات العقارية

- بيع و إيجار شقق ، فلات ، هياكل ، قطع أرضية صالحة للنشاط الترقوي .

- تعاملات مع الخواص و المرقين العقاريين